المشرق

الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية

بحث لاهوتي تاريخي للاب انطون ربّاط اليسوعي

في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٩ اصدرت البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق العدد الاوَّل من مجلّة دينية علمية اخبارية دعتها « النعمة » وافتتحها غبطة السيد البطريرك غريغوريوس برسالة رعائية ضافية الاذيال قدّم فيها المجلة الطائفية للاكليروس والشعب المسيحي ووصف غايتها التي هي « نشر حقائق الايمان وبثّ روح المحبة واحياء ميت الرجاء بتقدم الملة في دورها هذا » (صفحة ٨) وجاء في المقدّمة ان الكرسي الانطاكي كان في حاجة لمجلّة « تعرب عن احواله وتخدم ابناءه بنشر ما تختارهُ لهم من جليل الفوائد وجميل المباحث جامعة بين خدمة الدين والادب والدولة والوطن » وهي تبحث عن العقائد والعلوم والآداب وتنشر الحكم والمواعظ والاخبار مطبوعة في مطبعة البطريركية الانطاكية . وإنَّ مباحثها هي الدينيات « تشمل البحث في العقائد وتاريخ الكنيسة ونظامها والادب المسيحية وشرح الطقوس والعادات الكنسيّة وما شاكلها » اه

فرحبنا بالرصيفة الجديدة وبالمقالة الافتتاحية التعليمية الاولى التي اصدرتها في عددَيها الثاني والثالث عنوانها « قانون الاسفار المقدَّسة » وعكفنا على مطالعتها بشوق لخطارة الموضوع ألا وهو البحث في كتب الله المقدَّسة التي تقدر كما كتب بولس لتيموثاوس في رسالته الثانية (٣: ١٥) « ان تصيّر [الانسان] حكيمًا للخلاص بالايمان بالمسيح يسوع لان الكتاب كلّهُ قد أُوحيَ بهِ من الله وهو مفيد للتعليم وللحجاج

وللتقويم وللتهذيب بالبرّ » وكان رجاؤنا الاستفادة آملين ان نقرأ بحثاً مدققاً يتتبع فيه الكاتب تاريخ الشرق المسيحي ويثبت بالبرهان قانونيَّة تلك الكتب المنزلة . وكلٌّ يعرف انَّ البروتستانت انكروا قسماً منها في القرن السادس عشر فقامت عليهم كنائس الشرق والغرب فزيَّفت بدعتهم والتأمت المجامع الارثوذكسية في القسطنطينية وياش والقدس الشريف فقضت عليهم بالحرم حتى جاز لها ان تقول « ان الكنيسة الارثوذكسية قد حافظت على هذه الوديعة سالمةً كما تسلمتها من الرسل الطاهرين دون ان يطرأ عليها شيءٌ » كما جاء في مقدّمة المقالة

وقد كنَّا قيَّدنا ما اقتبسناه من مطالعتنا للكتب والنصوص الخطية شذرات وشهادات تعرب عن صدق معتقد الطائفة الارثوذكسية من القرن السادس عشر الى يومنا في مسألة قانون الاسفار الالهية وانها ناضلت عنها جيلاً بعد جيل بصوت مجامعها وبطاركتها واساقفتها وكتبتها المتازين حتى كنا نعتبر نتيجة درسنا وتنقيرنا حقيقة راهنة لا ينكرها كاتب

وما اشدَّ ماكان استغرابنا عند ما رأينا صاحب المقالة التعليمية الدينية الاولى — وقد اغفل اسمهُ — قد كتب ماكتب في مجلة النعمة دون تروٍّ كافٍ فانكر وحي قسم مهمّ من الكتب المقدَّسة جارى في ذلك الهراطقة الذين حرمهم أباؤهُ ودحضوا اضاليلهم . واي ضلال اضلّ من انكار وحي الله للبشر ونبذ رسائله الالهية التي تعطف فبعث بها الى كنيسته المقدَّسة كنزاً ثميناً قاعدة للايمان وينبوعاً للخلاص

على ان الكاتب الارثوذكسي الاديب لم يلقِ بنظره الى التعاليم والمقالات والمجامع التي تركها لهُ اباؤهُ القريبو العهد . ولو فعل لاقتبس منهم في موضوعه فوائد جمَّة ولم يحد عن جادَّة الحقيقة . لكنه اقتصر على كتاب او كتابين جمل قولهما حجَّة وعنهما نقل نصوصاً لبعض الاباء ولم يميّز بين زمن الجدال الذي حدث في شأن هذه الاسفار وبين الاجيال السابقة واللاحقة . فذكر ١٥ شاهداً الى القرن التاسع وقفز منهُ الى السابع عشر ضارباً صفحاً عن كل ما جاء خلافاً لمدَّعاه من صريح الشهادات التي لا تحصى . كما انهُ لم يفرق بين اقوال الاباء في مباحثهم مع اليهود حيث يلجأون الى الشهادات المقبولة من الخصم ويضربون صفحاً عما سواها

واذ ثبت في رأي الكاتب وزعمه نكران الوحي الالهي لعدد من الاسفار جعل

يؤوّل اقوال المجامع على ما يشأ فاذا ذكر القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل وقرأ هناك في عداد اسفار العهد القديم اسفاراً أُخر لا يرضى بوحيها اخبرنا « ان النص الواضح يُعلن ان هذا التعداد جاء لتعيين ما يجدر بالاكليروس والشعب اعتبارهُ ولم يجيء لسرد تأصيل قانونية تلك الكتب . . . وان الخليق بالمسيحيين ان يتصفَّحوها « علاوة » (كذا) على الكتب القانونية » . وهو بذلك لا شارح ولا مفسر للمجمع لكنه مختلق لنص من قلمهِ الخاص

وان الح الى مجمع قرطجنة جهل او نسي او تناسى ان مجمع القبة (In Trullo) — الذي يلحقهُ الروم بالمجمع السادس المسكوني ويعتبرونهُ قسماً منهُ لهُ ما للمجمع السادس من الالزام الاعتقادي (١ — قد اثبت قانون قرطجنة ايضاً فاصبح هذا القانون قاعدة وحكماً مجمعياً مسكونياً واعلمنا حضرته ان « النص يعلن (في مجمع قرطجنة) ان البيان منصرف الى تعداد الكتب المفيدة للمطالعة والتلاوة في الكنيسة » بيد ان نصهُ الصريح هو هذا : « لا يجوز ان يقرأ في الكنيسة شيء تحت اسم الاسفار الالهية خلا الاسفار القانونية . اما هذه الاسفار القانونية فهي للعهد القديم : سفر التكوين . . خمسة كتب سليمان . . وطوبيا ويهوديت وسفرا المكابيين (٢ » فاي نص اصرح وابين ؟ وكيف لم « يتضح جلياً » هذا الامر لحضرتهِ واتضح لهُ جلياً نقيضه ؟

وان عرَّض باقوال الآباء اجاب مسلماً « بورود ذكر قانونية الاسفار التي ينكرها في مؤلفات بعض علماء الكنيسة ومعلميها الغربيين القدماء » وفسَّر كلامهم كما شاء بلا سند خلا مدَّعاهُ الذي يعتبرهُ حجَّة

وبينا نحن في دهشنا اذ جاءتنا مجلة « الكلمة » الارثوذكسية المطبوعة في نيويرك لمنشئها سيادة الاسقف رفائيل هواويني فرأيناها في عدد ١٥ اب ١٩٠٩ تضرب على وتر « النغمة » وان اختلفت مقالة هذه عن تلك ببعض الاختلاف . فان « الكلمة » تسلّم قائلةً :

---

١) هذا برهان العلامة الارثوذكسي قسطنطين اوكونوموس في كتابهِ المعتبر الذي ألَّفهُ في الترجمة السبعينية وصدَّرهُ البطريرك انثيموس السادس برسالة قال فيها : اننا نثبت هذا الكتاب لانهُ يحتوي بدون غشٍّ التعليم الطاهر في الارثوذكسيَّة

٢) اطلب مانسي : مجموعة المجامع المجلد ٣ : العمود ٩٢٦ والمجلد ٤ : العمود ٤٣٠

« ان اعاظم اباء الكنيسة ومعلميها الاقدمين كانوا يستشهدون في مؤلفاتهم بعبارات كثيرة من الاسفار الغير القانونية [على رأيه ولكن على رأينا ورأي الكنيسة الارثوذكسية قانونية الهية كما سترى] لا بل كثيرًا ما كانوا لدى ايرادهم شهادة منها يقولون: « قال الكتاب او قال الكتاب المقدس » هكذا نرى شهادات كثيرة مأخوذة من سفر طوبيا في مؤلفات اكليمس الاسكندري وكبريانوس واوريجانس وامبروسيوس واغسطينوس. ومن سفر جوديت في مؤلفات اكليمس اسقف رومية وترتليانوس وايرونيموس واغسطينوس وغيرهم. ومن سفر حكمة سليمان في مؤلفات ايريناوس واكليمس الاسكندري واوريجانس وكبريانوس وابيفانيوس وايلاريوس. ومن اسفار المكابيين في مؤلفات غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم فضلًا عن ان الكنيسة في اول شهر آب تعيد لتذكار القديسين السبعة الفتية المكابيين وامهم سلموني (كذا) ومعلمهم اليعازر (٢ مكا ٧: ٢١) »

فاين هذا العدد من الآباء الشرقيين والغربيين امام ما ادَّعاهُ كاتبُ « النعمة » فذكر مستهترًا « بعض علماء الكنيسة الغربيَّة ». ونحن نزيد عليهم القديسين بوليكربوس وهيبوليتوس وديونيسيوس الاسكندري وغريغوريوس العجائبي ومتوديوس وهيلاريوس وافرام وباسيليوس الكبير وكيرلس الاورشليمي واوبتاتوس وكيرلس الاسكندري الخ الخ

فالنتيجة المستخلصة من هذه المقدَّمة حقُّها ان تكون ان هذه الاسفار هي الهية قانونية لان اعاظم الاباء والمعلمين الاقدمين يسندون اليها براهينهم التعليمية الاعتقادية ويصفونها بالكتاب المقدس ويصدّرون نقلهم لاياتها بقولهم: « قال الكتاب المقدس » و « قال الروح القدس » و « هكذا يعلمنا الروح القدس » و « هذا ما نقرأ في الكتب الالهية ». لكنهُ لما اعتبر الكاتب مبدأه امرًا مسلَّمًا به لا يُنكر اغفل كل النتائج ولم يستخلص منها الَّا ما وافق رأيه وزعمه. هذا والحق يقال من اغرب المبادئ المنطقية

وبعد ان استشهد صاحب مقالة النعمة بخمسة عشر شاهدًا حتى القرن التاسع اعتبرهم مثبتين لرأيه الحتيم بشهادة سادسة عشرة لمتروفانس كريتوبولوس في القرن السابع عشر ثم قال: « ان هؤلاء الثقات احصوا جميعًا كتب العهد العتيق القانونيَّة اثنين وعشرين كتابًا واجماعهم في ذلك حجة قاطعة تعلن ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير »

*

(قلنا) والحقيقة هي نقيض دعواه وهي ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيّر حتى ايامنا هذه — اللهمَّ خلا ما تجرَّأ عليه الكتبة المتشربون المبادئ البروتستانية — ألا وهو قبولها الاسفار التي

انكرها صاحب المقالة « كاسفار قانونية مقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية مثبتة منها كقسم من اجزاء الكتب الالهية ». وقد شهد بذلك صاحب المقدّمة على «كتاب تكملة الكتب المقدَّسة القانونيَّة التي طبعت في بيروت سنة ١٨٧٠ في المطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايروتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي »

ولا يُعبأ بمتروفانوس كريتوبولوس امام ما سنذكره من الشهادات عن صدق الامانة الشرقية متتبعين الآثار التاريخية الى أيامنا مدافعين عن هذه الامانة التي سعى الساعون ليبدلوها ببشارة جديدة لم تأتهم من الرسل ولا من الاباء الطاهرين. ثم نعود في فرصة أخرى ان شاء الله الى قانون الاسفار الالهية وننظر فيه نظرًا تعليميًا متتبعين اقوال المجامع والاباء فيظهر للقرّاء « صدق قانونية اسفار الله التي انكرها المراطقة العامية في الصدور » كما قال ميلاثيوس سيريغوس الارثوذكسي وذلك لانهم وجدوا فيها الاعتقاد بشفاعة القديسين والصلاة لراحة الموتى وهم لا يرضون بها (١

☆

﴿ موضوع البحث ﴾ في مقالتنا هذه نتحرّى اثبات قضيتنا المناقضة لما جاء في مجلة « النعمة » الارثوذكسية وهي قولنا: ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تعتقد بصدق قانونية الكتب التي دعاها الكاتب «كتبًا كنسية او كتب التلاوة» التي هي على زعمه « غير داخلة في قانون الاسفار الالهية » وليست « بوحي الله على محض التنزيل » وان كانت « مفيدة وجديرة بكل اكرام واحترام » او بلفظ آخر يدعي أنها كلام البشر لا كلام الله بينما الكتب التي قبلها هي بالحقيقة كلام الله. اما نحن فنقبل هذه الاسفار ككلام الله هي وسائر الاسفار المقدَّسة على حدّ سواء في الاكرام ونعتبرها قانونًا للحقيقة لا يتغير

ولا نريد الان ان ننظر في اقوال الاباء وندافع عن معتقدهم في قانونية الاسفار المنكرة. ذلك موضوع يستغرق مقالة برمّتها نلجئه الى عدد آخر لكن غايتنا اليوم ان

---

١) اطلب كتابه صفحة ١٠٠ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυρίλλου τοῦ Λουκάρεως αντίρρησις

نبين شطط من ادّعى ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تنكر قانونية هذه الاسفار وذلك نقلًا عما تسلّمته من الاباء الاقدمين والتقليد الكنسي المتواصل الذي جاهرت بهِ مرارًا من القرن السادس عشر الى ايامنا

﴿ قانون الاسفار الالهية ﴾ قانون κανών كلمة يونانية معناها القاعدة استعملها ايضًا كتبة القرن الرابع بمعنى الجدول كمرادفة لكلمة κατάλογος فضمّت المعنيين معنى الجدول ومعنى الرسم او قاعدة الايمان فقالوا قانون الكتب الالهية اي مجموعة او جدول الاسفار المقبولة من الكنيسة كاسفار منزلة الهية قاعدة ونظام الحقيقة التي اوحى الله بها . وقالوا كتاب قانوني اي داخل في هذا الجدول ومن ثمَّ جدير ان يكون قاعدة للحقيقة لانهُ موحى بهِ من الله (١

وهذا القانون قسمان : قسم يختص باسفار العهد القديم وقسم باسفار العهد الجديد . وكلامنا الان عن العهد القديم الذي تعرَّض لهُ الكاتب الارثوذكسي (٢

وقانون العهد القديم قد اعتاد المؤرخون تمييزهُ الى قسمين قسم لهُ اصل عبراني محفوظ في توراة يهود فلسطين يقبلهُ اليهود والمسيحيون بغير جدال ويستعملهُ الاباء القديسون في مباحثهم مع اليهود وهو القسم الذي رضي بهِ صاحب « النعمة » . وقد سمّى الاباء اسفارهُ ὁμολογούμενα اي الاسفار التي لا مناظرة فيها يرضاها الجميع . وسمّاها كتبة القرن السادس عشر (protocanoniques) اي القانونية الاولية . وقسم لم يحفظ نصه العبراني الاصلي او أُوحي بهِ باللغة اليونانية فحُفظ في الترجمة السبعينية فقط وعليهِ حدث جدال نظري في القرن الرابع للمسيح بين الكتبة الكنسيين لاثبات قانونيته او عدمها . وهذا القسم يُدعى باليونانية ἀντιλεγόμενα اي الاسفار التي يُجادل في صدق وحيها . وقد دُعيت في القرن السادس عشر (deutérocanoniques) اي القانونية الثانية تمييزًا لها عن الاولى

---

١) اطلب القاموس الكتابي (Dictionnaire Biblique) وقاموس الدفاع عن الدين (Dictionnaire Apologétique) الذي ينشرهُ تباعًا عدد من اعاظم الكتبة تجد هناك بحثًا طويلًا في المعنى اللغوي والتاريخي لكلمة قانون

٢) وقد ذكر الكاتب قانون العهد الجديد وعدد اسفاره فنسي عمدًا او سهوًا سفر رؤيا يوحنا وهذا من الغرابة بمكان

وهنا نلاحظ ان الاباء الذين شكوا نظريًا في وحي بعض الاسفار ما زالوا يحفظون التقليد المتابع في مقالاتهم باستعمالها برهانًا تعليميًا هي والاسفار الاولى على حدّ سواء. وما زالت تنكشف الرغوة عن الصريح الى ان تغلّب الرأي العام في الكنيسة الجامعة على رأي بعض الافراد واثبتت المجامع قانون الاسفار الالهية كما جاء في النسخة السبعينية

وكانت المباحثة قد همدت او بالحري قد انطفأت منذ اجيال ورضي الجميع نظريًا وعمليًا بقانونية الاسفار الثانية إذ قام في القرن السادس عشر هاما البدع الحديثة لوتير وكاوين فشنّا الغارة على كتب الله وابطلا قسمًا منها في الهودين خلافًا لمعتقد الكنيسة الشرقيّة والغربية. فوقف في وجههما اباء المجمع التريدنتيني المسكوني المقدّس فحدّدوا جدول الاسفار القانونية المقبولة في كنيسة الله تحديدًا نهائيًا وانزلوا الحرم على كل معاند وقرّروا ان هذه عقيدة لا ريب فيها لا ينكرها الّا المبتدع المرطوقي. وحذت الكنيسة الارثوذكسية حذو الكنيسة الكاثوليكية رغمًا عمّا بينهما من الخلاف فاقرّت بنفس الجدول او القانون وحرمت من يخالفهُ

❁ اسفار قانون العهد القديم ❁ لا نجد في اسفار العهد الجديد جدولًا رسميًا للكتب الالهية القديمة المسلمة صيانتها للكنيسة المسيحية. لكن المخلص والرسل قد استشهدوا مرارًا بآيات كتابية فجاءت شهادتهم اوّل برهان لتنزيل الكتب المسند اليها. ومن تصفّح الانجيل الطاهر والرسائل وجد الكتبة الالهيين كثيرًا ما يأتون بالنصوص النبويّة القديمة التي قال المخلص انها تشهد لهُ (يو ٥: ٣٩). وقد ينقل الرسل النصوص الالهية تارةً بالحرف وتارةً بالمعنى او يلمحون اليها تلميحًا فاذا جمعت هذه النصوص استخلصنا منها نتائج كتابية جمة منها معرفة ما اعتبرهُ كليم الله وحافظو تعاليمه منزلًا الهيًا (اطلب المجلد الثالث من الكتاب المقدّس المطبوع في مطبعتنا ص ٤٦٥—٤٨٣). وهذا الدرس اتمّهُ عدد من الكتابيين العلماء متتبعين كلًا من الاسفار المحفوظة في الترجمة السبعينية

وتلا الاباء تلوهم واقتفوا آثارهم في اسنادهم التعاليم الخلاصية الى المجموعة السبعينية كما استلموها من الرسل والتلاميذ لكنهم اذا جادلوا اسرائليًا اسندوا قولهم الى ما لا جدال في إثبات وحيهِ وهكذا تحلّ اكثر المشاكل الناتجة عن بعض النصوص المبهمة

❁ عدد الاسفار القانونية الاولى ❁ هي التي لا تزال محفوظة في التوراة العبرانية والتي لم يحدث جدال بشأنها وعددها ستة وثلاثون على حساب كثير من البروتستانت او تسعة وثلاثون على حساب صاحب المقالة في «النعمة» او ثمانية وثلاثون كما جاء في «الكلمة». لكنها قد تضمّ بعضها الى بعض فتحصي اثنين وعشرين كتاباً على عدد احرف الهجاء العبرانية او اربعة وعشرين على حروف الهجاء اليونانية. وهذه الاسفار كُتبت بالعبرانية خلا بعض مقاطع لا تُعرف ألّا باللغة الكلدانية او الآرامية

❁ الاسفار القانونية الثانية ❁ من تصفح مجموعة الكتاب المقدَّس في اي لغة او عند اي طائفة شاء مبتدئاً من الترجمة السبعينية الجليلة الى امامنا — خلا بعض النسخ البروتستانية الحديثة — يجد اسفاراً أُخر مختلطة في وسط الاسفار التي عددناها تحت اسم واحد لا ميزة بينها. وهي هذه: ١ً طوبيا او طوبيت — ٢ً يهوديت — ٣ً سفر الحكمة — ٤ً يشوع بن سيراخ — ٥ً باروخ — ٦ً سفر المكابيين وبعض قطع في سفر استير وتسبحة الثلاثة الفتية في الفصل الثالث من سفر دانيال وخبر سوسنة والتنين في الفصل ١٣ و ١٤

وهذه الاسفار والمقاطيع قسمٌ منها كُتب ولا شك باليونانية وهما سفرا الحكمة والمكابيين الثاني. وقسم فُقد اصلهُ. فقد عرف اوريجنيس سفر المكابيين الاوَّل بالعبرانية ووُجدت مؤخَّراً في كنيس القاهرة قطعٌ عبرانية قديمة اثبت العلماء انها النصّ الاصلي العبراني لسفر يشوع بن سيراخ. اما طوبيا ويهوديت والقطع المذكورة من دانيال واستير فقد ذهب العلماء المحدثون المدققون ان اصلها العبراني قد فُقد مع الايام (١. هذه الاسفار

(١) جاء في الكاتيشيس الارثوذكسي المطبوع في بيروت سنة ١٨٤٥ (صفحة ١٨): «لاي سبب في احصاء كتب العتيقة هذا لم تعرض حكمة سيراخ وبعض كتب اخرى غيرها؟ الجواب: لانهم غير موجودين في اللغة العبرانية». قلنا وقد اثبت العلماء ان ابن سيراخ كُتب بالعبرانية ونُقل الى اليونانية كما بيَّنا في النص. وكاتب هذه الاسطر يذكر انهُ لمَّا وُجدت هذه القطع العبرانية لابن سيراخ كان ماراً باحد شوارع باريس فاذا بالعلامة الاسرائيلي المستشرق الشهير هالاوي (J. Halévy) يناديه وهو يتبسَّم مبتهجاً وقائلاً: اسمعتَ باكتشاف قطع عبرانية لابن سيراخ؟ قلتُ: لا. فجعل العلامة يشرح الامر بالتفصيل ويقول: هذا ما كنتُ اعتقدته طول حياتي فكان المخالفون يعاندوني فجاء الاكتشاف مثبتاً لحساباتي. وزاد: ارجوك ان تخبر الاب د. وغيره من دارسي العلوم الكتابية بهذا الامر الاثير.

وتزيد: لِمَ لا يرضى صاحب الكاتيشيس الّا بما كُتب بالعبرانية؟ ألا يحقّ له ان يستعمل

حفظتها لنا الترجمة السبعينية في عداد الكتاب المقدس وعليها كلامنا في هذه المقالة

*

وقبل ان نورد الشهادات المثبتة اعتقاد الطائفة الرومية الارثوذكسية المتواصل في قانونية هذه الاسفار لا بدّ لنا من ايراد ملاحظة:

لم يتفق الكاتبان الارثوذكسيان في الجلّتين الارثوذكسيتين في ايرادهما الاسفار التي يزعمان انها غير قانونية. فكاتب «النعمة» يرضى باستير ودانيال ولا يتعرض للمقاطيع. امّا صاحب «الكلمة» فانهُ يُنكرها وينكر ايضاً صلاة منسى في آخر اخبار سفر الايام الثاني

ثم يلحق كاتب النعمة بسفر ارميا كتاب باروخ ورسالة ارميا. وعلى ما يتراءى من كلامهِ يعتبرهما قانونيين — وكاتب الكلمة يعدُّهما بين الكتب الغير القانونية

ومهما كان من امرِ اتفاقهما او عدمه فانا نثبت ان الكنيسة لارثوذكسية قبلت قانونية كل الاسفار التي انكر كلا الكاتبين قانونيتها تبعاً لتعليم البروتستانت في القرن السادس عشر. ولا نتعرَّض اليوم لاقوال الاباء القديسين وشرح ما اوردهُ من النصوص والجواب على ما جاء بهِ من الاعتراضات فوعدنا مقالة أُخرى ان شاء الله

البرهان الاوَّل

في انَّ الكنيسة الارثوذكسية قبلت قانونية الاسفار الثانية بقبولها الترجمة السبعينية

كل يعرف ان الترجمة السبعينية هي ترجمة يونانية سبقت العهد النصراني كان يهود القطر المصري يستعملونها ويعتبرونها اعظم اعتبار حتى ان كثيرين من اليهود ومن المسيحيين ذهبوا الى انها موحاة على مثال النص الاصلي العبراني. وهي تضم الاسفار الاولية والثانية مختلطة بعضها مع بعض لا خلاف بين هذه وتلك ولا ميزة. ومن ثم يُستخلص ان يهود الاسكندرية على الاقل كانوا يعتبرونها كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهية. وبهذه الترجمة وبالترجمات المعزوة لاكويلا وسوماك وتيودوثيون التي هي ايضاً تحوي (كما يظهر من بقاياها) الاسفار الثانية انتشر الكتاب المقدس في القرون الاولى. وجدير

غير هذه اللغة اذا شاء ان يوحي اسراره للبشر؟ أوّلًا يوجد في الكتاب العبراني قطع ارامية او كلدانية. وعلى كل فالكتاب المقدس وديعة الكنيسة المقدسة وهي وحدها تنبئنا عن الكتب المنزلة

بالملاحظة ان كتبة العهد الجديد قد اعتادوا ايراد الآيات التي يستشهدون بها تبعاً للترجمة السبعينية. على اننا اذا خصّصنا بالنظر الكنيسة الشرقية عموماً واليونانية خصوصاً وجدناها المحافظة الامينة على الترجمة السبعينية والمادحة لها جرياً على مسلك الاباء الاقدمين لا تعرف غيرها ولا ترضى الّا بها وقد قبلتها كما هي واعتبرتها المجموعة الصادقة والكاملة للكتاب المقدّس ولم يحدث مدّة ثلاثة قرون اعتراض على هذا الاعتبار. وبعد الجدال الذي حدث في القرن الرابع فتغلب فيه الحقّ على الشك واستتبّ الاعتقاد بالمجموعة السبعينية. قال مجمع اثينا سنة ١٨٣٥ منكراً الطبعات البروتستنتية للكتاب المقدّس: «ان الترجمة الوحيدة القانونية للعهد العتيق التي تقبلها الكنيسة الشرقية هي الترجمة القديمة السبعينية» وقال سنة ١٨٣٦ البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس: «ان الكنيسة الشرقية تقبل الترجمة السبعينية فقط وتعتبرها اعظم اعتبار كانها النصّ الاصليّ بالذات» وسنة ١٨٤٨ اعلن البطاركة جميعاً رأيهم قائلين: «ان كنيستنا تحفظ سالمةً صحيحة الآيات الاسفارَ المقدّسة المعصومة وهي الترجمة الصادقة والكاملة للعهد العتيق والنص المقدّس للجديد (١» وقد وقّع على هذا النص الاخير بطاركة القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم وواحد وثلاثون اسقفاً. أليس هذا يعادل اقراراً بقانونية الاسفار المذكورة في الترجمة السبعينية؟

البرهان الثاني

حكم المجمع اللاحق بالمجمع السادس

ولم تكن الترجمة السبعينية السبب الوحيد لمعتقد الكنيسة اليونانية بقانونية الاسفار المذكورة فان لها خلا سائر الكنائس برهاناً آخر في القانون الثاني للمجمع الملقب «إن ترولو» او القبة (in Trullo) الذي يُلحقه اليونان بالمجمع المسكوني السادس ويقدّرون احكامه قدر احكام المجامع المسكونية. فقد جاء فيه ان المجمع

١) اطلب مجموعة المجامع لمانسي (مجلد ٤٠ العامود ٤١٤) وهذا هو النصّ اليوناني:
ἡ ἐκκλησία ἡμῶν κατέχει αὐτὰ τὰ ἀδιάπτωτα καὶ ἀνόθευτα κείμενα τῶν Θείων Γραφῶν, τῆς μὲν παλαιᾶς διαθήκης τὴν ἀληθῆ καὶ ἀρτίαν μετάφρασιν, τῆς δὲ νέας αὐτὸ τὸ θεῖον πρωτότυπον.

يقبل القانون الخامس والثانين من قوانين الرسل الذي يعدد الاسفار الالهية (خلا ما جاء فيه بشان رسومات الرسل (Constitutiones apostolicæ) لان المراطقة قد تلاعبوا في نصها) ويقبل ايضاً حكم مجمع اللاذقية وحكم مجمع قرطجنة «ولا يجوز لاحد ان يحرف الاحكام المذكورة» (١

فاذا انتقلنا الى فحص الاحكام المذكورة وجدنا :

١ً ان القانون ٨٥ من قوانين الرسل يزيد على الاثنين وعشرين سفراً المكرمة والمقدَّسة σεβάσμια καὶ ἅγια ثلاثة اسفار المكابيين ثم يقول: «اعلموا ان احداثكم يجب ان يدرسوا حكمة سيراخ الجزيل المعرفة» (٢

٢ً المجمع اللاذقي يذكر الاثنين وعشرين سفراً ويخص بالذكر باروخ والمراثي ورسائل (او رسالة ارميا) ولا يميّز في سفرَي استير ودانيال بين قسم مقبول وقسم مرفوض (٣

٣ً واخيراً مجمع قرطجنة يعدد الكتب القانونية برمتها كما هي في الترجمة السبعينية ويقبلها كلها ككتب الله المنزلة بلا ميزة بين هذه وتلك وقوله هو الذي اتخذه المجمع التريدنتيني بحرفه بغير تبديل (٤

ومن هذه الاحكام نستخلص ما يأتي — وقد استخلصهُ الروم قبلنا — كما سنبين في النصوص التي سنذكرها في مقالتنا

اولاً ان حكم هذا المجمع يثبت القوانين التي ذكرها وجعلها كأنها احكامه وقوانينهُ وان تكن صادرة عن مجامع مكانية. ومن ثم جماها الزامية

ثانياً لا بد من مقابلة الجداول الثلاثة التي وصلها المجمع وتتميم ما ينقص في احدها بما جاء في الجدولين الآخرَين ولا يجوز ان نقتصر على المجمع اللاذقي فقط لاننا بذلك نخالف حكم المجمع الذي امرنا ان نقبل جدول قانون الرسل وجدول قرطجنة. فقانون الرسل ذكر اسفار المكابيين وابن سيراخ والمجمع اللاذقي لم يجعل ميزة

---

١) مجموعة المجامع لمانسي المجلد ١١ العمود ٩٤٠

٢) مانسي المجلد ١ العمود ٤٨

٣) مانسي المجلد ٢ العمود ٥٧٤

٤) مانسي المجلد ٣ : ٩٢٤ والمجلد ٤ : ٤٣٠

بين قسم وقسم من سفري استير ودانيال. ومجمع قرطجنة صرَّح بقانونية اسفار طوبيا ويهوديت وحكمة سليمان وابن سيراخ وسفرَي المكابيين. اذن علينا الرضوخ لامره وقبول قانونية هذه الاسفار. هذه نتيجة منطقية استخلصناها بصريح العبارة من احكام المجامع الواضحة ولا نرى كيف يمكن انكارها

ثالثاً هكذا فهم هذه النصوص كتبةُ الشرق وقديسوهُ نخص بالذكر:

١ً القديس اندراوس القريطشي الذي استشهد مراراً بسفر الحكمة وابن سيراخ وطوبيا ويهوديت والمكابيين وقطع دانيال الخ مثبتاً الايات بقوله: «قال الروح القدس» او «نقرأ في الاسفار الالهية» وما شاكلها — ٢ً القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية استشهد بسفر الحكمة وابن سيراخ ويهوديت وقطع دانيال — ٣ً المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) استشهد بسفر الحكمة وابن سيراخ

وحذا حذوهم القديس ثيودورس ونيقيتاس وفوطيوس وسمعان ميتافرستوس وثيوفيلاكتس البلغاري وان شاء صاحب المجلة نشرنا نصوصهم بحروفها (١). اما ما جاء في المقالة بشان القديس يوحنا الدمشقي والقديس نيقيفورس ففيه نظر لان نص الدمشقي قد يراد به قانون اليهود الفلسطينيين لا قانون الكنيسة فاننا نراهُ يذكر في مقالاتهِ اللاهوتيَّة ايات من باروخ وسفر الحكمة وابن سيراخ الخ. اما نيقيفورس فانهُ يذكر صريحًا قانونية سفر الحكمة وغيره من الاسفار وقد ذهب العلامة شارل دي بودر ناشر تآليفهِ الاخير ان كتاب «ستيكومتريا» الذي أُخذ عنهُ النص المعارض لتعليم معاصريهِ في شأن هذه الاسفار هو كتاب مختلق ليس للقديس

وقد يعترض علينا الكاتب الاديب بقوله ان قانون الرسل الخامس والثمانين يذكر سفراً ثالثاً للمكابيين وان بعض الآباء قد استشهدوا برسالة هرماس المسماة «الراعي» وان النصوص القديمة كالنصّ الفاتيكاني او الاسكندري او السيناري تُلحق بالمجموعة احد هذه الاسفار التي يتفق الكل على انكار قانونيتها. اجبناه ان برهاننا لم ناخذه عن مصدر واحد لكن عن لفيف المصادر معاً واننا مقرّون ان بعض الاباء قد ارتأوا قانونية هذا او ذاك من الاسفار التي لا نرضى بقانونيتها. لكننا نرجوهُ ان يعتبر ان البرهان

---

١) نحيل القارئ على كتاب جليل في هذا الموضوع الاب جوجي (Jugic) الصرودي فقد اقتبسنا منهُ افادات جمة (اطلب المشرق ص ٢١٢)

التقليدي الحقيقي يُؤخذ عن اتفاق الاباء الادبي لا عن رأي هذا او ذاك على انفراد وان الرأي الذي نحن في صدده هو من قبيل الرأي الشخصي لا التعليم العام ولم يثبت تجاه الاجيال فاضمحلّ وأُلقي في طيّ الهجران بينما هذا الراي العام الثابت حُفظ مصونًا. وقل نفس الكلام في إلحاق رسالة هرماس بالمجموعة المعروفة باسم النص الاسكندري او السيناوي

وقد يقول ان هذه المجامع لم تذكر كل الاسفار الثانية. نجيبه: ١ً قد ذكرها مجمع قرطجنة. ٢ً لما كان السبب لانكار هذه الاسفار الثانية واحدًا يعمّ الكلّ — وذلك عدم وجودها في النص الفلسطيني — كان من ثم الرضى باحدها يضاهي الرضى بالكل. وهذا ما يثبتهُ التنقيب التاريخي: فمن قبل سفري المكابيين مثلًا او سفر طوبيا او سفر يهوديت نراهُ يقبل ايضًا سفر ابن سيراخ وسفر الحكمة

وابمَا اذًا قد قبلت الطائفة الرومية هذه الاسفار كاسفار قانونية اجابةً لاحكام المجامع ولشهادة الاباء والكتبة الشرقيين في القرون المتوسطة وقد لبثت حافظة هذه الامانة «معتصمة بها لم تقل بسواها ولم يعرض عليها تغيّر» — حتى القرن السادس عشر

البرهان الثالث

في اعتقاد الكنيسة الرومانية بقانونية هذه الاسفار وحرمها للمخالفين
وسكوت الشرقيين عن هذه العقيدة الرومانية

لا خلاف في ان الكنيسة الرومانية كانت في الاجيال المتوسطة تومن بقانونية الاسفار الثانية وتستشهدها كما تستشهد كلام الله وقد اقرّ بذلك الكاتب الشهير اليوناني قسطنطين اوكونوموس كاهن الكنيسة الكبرى في القسطنطينية في تاريخه المعتبر للترجمة السبعينية. قال: «ان الكنيسة الرومانية تقبل هي ايضًا هذه الكتب (الاسفار الثانية) ككتب قانونية وتكرمها وتقرأها. وهي في هذا حافظة للتقليد القديم في الكنيسة الواحدة وقد اعلنت رسميًّا معتقدها في المجمع التريدنتيني» (١

على ان هذا الاعتقاد الروماني قد اصبح بعد حكم المجمع التريدنتيني عقيدة

١) طبعة اثينا سنة ١٨٤٩ المجلد الرابع الصفحة ١٢٦—١٢٨ Περὶ τῶν Ο' Ἑρμηνευτῶν τῆς παλαιᾶς Θείας Γραφῆς

دينية كغيرها من العقائد يعتبر من ينكرها هرطوقياً ومحروماً من الكنيسة. وهي لعمري من العقائد العظيمة الشأن لا يمكن للمسيحي ان يغض عنها طرفاً او يستخفها لان كلام الله اساس ديننا فمن تجرأ على ان يعزو الى الله كلاماً هو براء منهُ يرتكب اقبح الآثام والجرائم وليس باخفّ منهُ اثماً من يحرم البشر كلاماً قد تنازل الله ولقنه خلائقهُ ليكون لهم تعليماً للتقويم والتهذيب والخلاص

ومن ثم نقول: لو كانت الكنيسة اليونانية تعتقد عدم قانونية هذه الاسفار لما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانية في امر هامّ كهذا ولكانت عابت عليها هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غريبةً او مكانية صغيرة او كبيرة الّا وانتقدت عليها امرّ الانتقاد حتى ان من طالع بعض كتب الارثوذكس وما جمعوا فيها وكدّسوا من الفروق التي دعوها الضلالات الرومانية يأخذه العجب فلا يدري هل يعزو هذا المسلك للبساطة والتجهل او للوهم ولسوء النية. «وعين البغض تبدي المساوئا» كما قال الشاعر

قال الكاهن والعلّامة في التيولوجيا في الكنيسة الروسية الارثوذكسية الاب فلادمير جاته (١: «لامر اكيد ان بين هذه الكنائس المختلفة قد وُجد منافرة عميقة. فمن الجيل العاشر قد اتصلت الى هذا الحدّ بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية حتى ان ميخائيل كيرولاريوس كان يعيب اللاتين على مجرّد بعض اصطلاحات في الفروض مثلًا فيما خص نشيدة هللويا في بعض ايام. وكان يكفي ان يصير الاصلاح غربياً ليكون حالًا مكروهاً عند اليونان» وهي لعمر الحق شهادة صادقة يثبتها التاريخ حتى يومنا هذا. وقد عدّوا البدع والضلالات الرومانية بالعشرات بل بالمئات منها «ان اللاتين يرسمون اشارة الصليب مبتدئين من الشمال الى اليمين» وان «القندلفت قد يصعد على الهيكل ليطفئ الشموع» والغربيون «ينصبون التماثيل في الكنائس» و«في اوقات الصلاة يجلسون على كراسي ومقاعد» و«يقصون شعرهم» و«يخنون الركب يوم السبت» و«يصومون يوم السبت» وغيرها (٢ ولم يكن يعرف الاولون الا خمس اختلافات تعليمية محضة كانوا يتباحثون فيها

---

١) اطلب كتاب الحقائق الارثوذكسية والخلافات النصرانية. الطبعة العربية (الصفحة ٨)

٢) نظرة تاريخية في ضلالات الكنيسة البابوية تأليف الكاهن باسيليوس ميخايلوفنسكي عربها من الروسية الارشمندريت رفائيل. طبعت في كازان سنة ١٨٩٤ صفحة ٧٦ الخ. ثم اطلب البينات

على انك اذا تصفحت هذه الكتب العديدة المتشابهة لفظاً ومعنى والمحشوة امر الكلام واظلمه لا تجد ذكرًا لهذه العقيدة الرومانية الهامة. أو ليس اثبات كلام الله او انكاره اهمّ من قصّ الشعر وحلق اللّحى واحنـاء الركب يوم السبت والجلوس على الكراسي ؟ فليحكم القارئ

واذا تنفست النفس من مطالعة هذه الوريقات والكتيبات المتفقة عادة بالمعنى البذي والتحقير للكنيسة الكاثوليكية وأخذتَ الرسائل والمقالات التي اصدرتها مرارًا الاجتماعات الارثوذكسية او السينودسات البطريركية — وعندنا منها شيءٌ كثير — وقلبتها صفحة صفحة لا تجد فيها ذكرًا لهذه العقيدة الرومانية. فلو كانت الطائفة الارثوذكسية تخالف تعاليم المجمع التريدنتيني في الاسفار الثانية ألم تكن تذكرها في فاتحة جداول البدع الغربية لانها هي الاهم والاعظم افتراء على كلام الله. ولا يمكن للقـارئ ان يعذرهـا ناسبًا اليها الجهل بعقائد الكنيسة الكاثوليكية. ذلك قد يكون الصواب في بعض الكتبة الذين يجدفون على ما لا يعلمون. لكنه افتراء على اصحاب التآليف الهامة والرسائل البطريركية وقد صرّحوا مرارًا بحرفتهم للمجمع التريدنتيني والمجمع الفاتيكاني وانتقدوا على كثير من احكامها المقدّسة. ومن ثم كان سكوتهم بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قونية الاسفار الثانية

البرهان الرابع

في شهادة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت

لقد سعى البروتستانت ان يتّحدوا مع الطائفة الارثوذكسية فيجدوا في قدمها عزاء لهم وجوابًا على حدوث تعاليمهم. لكن المساعي المتبادلة لم تفلح رغمًا عما بُذل من التساهل من كلا الطرفين لبعد البين بينهما (١ لكننا اذ ما تصفحنا تاريخ هذه

الجلية في البدع البابوية استخرجها من اللغة اليونانية الشماس جراسيموس مسرَّه. طبعت في بيروت سنة ١٨٨٢ صفحة ٢٥ الخ

١) اطلب مقالتنا في التسع والثلاثين عقيدة انكليكانية والطائفة الارثوذكسية جوابًا على ما جاء في المنار الارثوذكسي البيروتي (المشرق ٧: ٩٢٥–٩٢٨) وقد بيّنا بنشر بعض العقائد الانكليكانية ان الجمع بينها وبين امانة الكنيسة الارثوذكسية من المُحال الممتنع قطعياً

المراسلات في القرن السادس عشر والسابع عشر واوائل الثامن عشر وجدنا برهاناً جديداً صريحاً لمعتقد الطائفة الارثوذكسية بقانونية الاسفار الثانوية خلافاً لمعتقد البروتستانت وحرماً لبدعتهم. ولا بد من ذكر السوابق واللواحق ليعلم القارئ حقيقة الخبر

فاول من فاتح الكنيسة الشرقية هو ميلنكتون المبتدع الشهير وذلك سنة ١٥٦٠ في رسالته للبطريرك القسطنطيني يواصاف الثاني فلم تأتِ بنتيجة. ثم خلفهُ معلمو مدرسة «تيبنغه» اللوثرانية فدار البحث بينهم وبين البطريرك ارميا الثاني مدة ٧ سنوات (١٥٧٤ الى ١٥٨١) بلا جدوى لما كان عليه البطريرك من التعلق بايمان اجداده ونكرانه للبدع. فانقطعت العلاقات (١ لكن الشبان الروم جعلوا يؤمون مدارس اوربة الكبرى ليتثقفوا فيها العلوم. ولما كانوا والبروتستانت سواء على انكار التعليم الكاثوليكي آثروا المدارس اللوثرانية والكلوينية على الكليات الرومانية فتراهم يدرسون على اساتذة «ويتنبرغ» و«تيبنغه» وغيرهما من المحافل البروتستانية. وما عتم ان اثَّر هذا التعلم فيهم فكنت تراهم يتجاذبهم طرفان طرفُ التقليد القديم الذي تلقوهُ عن اجدادهم وطرف البدع الجديدة التي سمعوا وصفها وتتلمذوا لناشريها. ولكي نقتصر على موضوعنا الخاص ضاربين صفحاً عن تاريخ العلاقات بين الارثوذكس والبروتستانت نقول:

ان اول كاتب رومي تعرض لمسّ الاسفار الالهية هو زكريا غرغانوس تلميذ مدرسة ويتنبرغ في كتاب نشرهُ سنة ١٦٢٢. لكنه لم يرق في أعين مواطنيه فنقّدهُ يوحنا متى كاريوفيلوس مطران ايكونيوم اليوناني في كتاب سمّاهُ جدول التعليم المسيحي الكاذب لزكريا غرغانوس. وجاء متروفانوس كريتوبولوس الذي ألّف معلمي اوكسفرد وويتنبرغ وتيبنغه وكان كيرلس لوكاريوس ارسلهُ الى انكلترة ليحمل الملك كارلوس الانكليزي نسخة الكتاب المقدس اليونانية التي تعرف اليوم بالنص الاسكندري. فقام باعباء الرسالة وعاد الى مدينة هلمشتد من اعمال المانية فألف فيها كتابهُ «امانة الكنيسة الجامعة الرسولية الشرقية» وفيه جادل الهراطقة في كثير من مبادئهم وتساهل في غيرها منها قانونية الاسفار الثانية. وزاد منكراً قانونية باروخ خلافاً للنصوص الصريحة التي اتى بها هو ذاته في غضون كتابهِ. لكنهُ لم يتجرأ على نشر امانته فعاد تاركاً اياها مخطوطة. فجُعل

---

١) وقد نشرت الرسائل المتبادلة بين الفريقين في مدينة ويتنبرغ سنة ١٥٨٤

بطريركاً على الاسكندريَّة وبعد وفاته بسنين طبعها في هلمشتد يوحنا هورنيجوس. ولم يكن لكتاب متروفانوس تأثير في حياته لانهُ لم يُعرف ولم يُنشر (١

والمسئولية في نشر المبادئ البروتستنتية اخذها على عاتقه شخصٌ اشتهر في زمانهِ شهرة لا يُحسد عليها في ميلهِ للتعاليم الهرطوقيَّة وسعيهِ سعياً متواصلاً لا يعرف الملل في بثها بين الشعب الموكولة اليهِ رعايته. نريد كيرلس لوكاريس البطريرك القسطنطيني. ولد في جزيرة كريت سنة ١٥٧٢ وكان اسمه قسطنطين ودرس في البندقية وپادوا وزار مدناً كثيرة فتصادق مع اللوثريين والكلوينيين والانكليكانيين ثم عاد الى الشرق وجُعل بطريركاً على الاسكندرية خلفاً لقريبه ملاثيوس پيغاس (١٦٠٣) ثم على القسطنطينية حيث لبث نحوًا من ثماني عشرة سنة بُدِّل في غضونها اربع او خمس مرَّات الى ان مات خنقاً في ٧ تموز ١٦٣٨. هـذا ملخص حياته نقلاً عن التواريخ الموثوق بصدقها (٢

وقد لعب في زمانهِ دورًا مهماً حتى انك تجد في مكاتب الوزارات الافرنسية مئات من الرسائل والمقالات المتعلقة بهِ وقد اسعدنا الحظ فطالعناها ونقلنا عنها شذرات قليلة في كتابنا المعنون باسم الآثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقيـة (٣ ولم يكن دوره

---

١) اطلب الاب جوجي في كتابه عن قانون الاسفار الالهيـة والكنيستين اليونانية والروسية فقد اكتسبنا مرارًا من معارفه. وكتاب الكاتب الانكليزي الاب فورتسكيو (Fortescue) المعنون «الكنيسة الارثوذكسية الشرقية» (لندن ١٩٠٧) صفحة ٢٦٥و٢٦٥. وميخالشكو. امَّا متروفانوس فهو الاب الكنسي الوحيد الذي استشهدتْ بهِ مجلة النعمـة الارثوذكسية بعد ذكرها لآباء القرون الاولى كانها تجهل ما سنذكرهُ بعيد هذا من شهادات اربعين او خمسين بطريركاً ومتروبوليتاً من المعاصرين لمتروفانوس والمخالفين لرايه

٢) اطلب في دائرة المعارف للعلماء البروتستنت الالمانيين (Realencyklopaedie) مقالة عن لوكاريس بقلم العالم الالماني ماير ومقالة للعـالم هوفمن في المجمع الاورشليمي سنة ١٦٧٢. واميل لوغرن (Em. Legrand) في المكتبة اليونانية. وفورتسكيو صفحة ٢٦٤-٢٦٩ ومجلَّتي اصداء الشرق (Echos d' Orient) ٦:٩٢ والمباحث (Etudes) المجلد ١١٣ سنة ١٩٠٧ صفحة ٧٠-١٠١. وكل هـذه المؤلفات لا ينكر احد اهميتها العلمية وصحَّة رواياتها التاريخية

٣) اطلب المجلد الاول صفحة ٢٥٢ من كتابنا (P. A. Rabbath : Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient, 1907) وفي المكتبة العمومية في باريس نحو من عشرين مجلدًا تحتوي اوراق السفارة الافرنسية في القسطنطينية في زمن لوكاريس. فيا حبذا لو سعى احد الشرقيين فاستخلص منها تاريخاً مدققاً صادقاً لاعمال لوكاريس

اسمو علم او قداسة لكن لاجتهاده ايَّ اجتهاد في ادخال المبادئ البروتستانية في الكنيسة الشرقية اجابةً لرغائب اهل البدعة في هولندة والمانية وانكلترة وكانوا قد جعلوا ثقتهم فيه ولم يضنّوا عليه بمساعدة ان مالية وان سياسية. ذلك مما لا ريب فيه كما يشهد به العلماء البروتستانت في ايامنا وتشهد رسائلهُ المحفوظة (١ ومعاريض سفراء الدول الى حكوماتهم الذين دعوه مرارًا نصير الهرطقة وهرطوقيًا (٢. قال سفير فرنسة في القسطنطينية في رسالته للملك بتاريخ ٣٠ نيسان ١٦٢٣: «هذا البطريرك هو هرطوقي خطِر لا غاية لهُ الّا تأسيس الكلوينية في كل انحاء الشرقيّة». وقد ردَّد هذا الحكم مرارًا في رسائله (٢ وجعل لوكاريس يستجلب كتبًا هرطوقية لينشرها بين الشعب. قال السفير بتاريخ ٢١ كانون الثاني سنة ١٦٢٤ عن احد هذه الكتب: «هو كتاب كافٍ لان يفشي وباء الهرطقة في كل انحاء هذه الكنيسة الشرقية المسكينة لانهُ مملوء اراء كلوينية ولوثرية قد تدخل بسهولة في عقول قوم سذَّج بسطاء» (٣. ولم يكتفِ لوكاريس باستجلاب كتب غريبة لكنه سعى بنشر كتاب دُعي الامانة الارثوذكسيَّة هو بالحقيقة اقرب للبروتستانية منه للارثوذكسية (٤ فطبعهُ في عواصم الهرطقة وزاد على الطبعة

واحوال البطريركة القسطنطينية في النصف الاول من القرن السابع عشر. وهذه نمرة المخطوطات المذكورة (القسم الفرنساوي عدد ١٦١٤٥ وما يليها)

١) قد حُفظ كثير منها بينه وبين قوم من البروتستنت كغروتيوس (Grotius) وابوت ودي دومينيس وغيرهم (اطلب فورتسكيو صفحة ٢٦٤ ودائرة المعارف الالمانية البروتستنية)

٢) كذا نعتهُ مرارًا سفير فرنسة في رسائله للملك (اطلب مخطوطات المكتبة العمومية في باريس نمره ١٦١٤٥ صفحة ١٢٦)

٣) اطلب مخطوطات باريس نمرة ١٦١٥٠ صفحة ٢٢٩ وكتابنا الآثار الخطية صفحة ٢٥٢ الخ

٤) ان الارثوذكسيين قد اجمعوا على رذل ما جاء في هذا الكتاب من المبادئ الضالَّة والمضلَّة اجمالًا وافرادًا. لكنهم على رأيين في نسبة هذا الكتاب للوكاريس. فقوم لا يشكّون انهُ هو مؤلفهُ الحقيقي بذاته او بواسطة تلميذه زكريا لكنهم انكروا عليه الحق ان يعرض بدعته بثوب التعليم الارثوذكسي كانما واحد والكنيسة الارثوذكسية براء من مزاعمهِ. واكثر هؤلاء معاصرون للوكاريس وقوم حاولوا تنزيه البطريركية او بالحري البطريرك من وصمة الهرطقة وهؤلاء هم اباء المجمع الاورشليمي الملتئم سنة ١٦٧٢ فقد حرموا التعليم المعزو للوكاريس وانكروا انهُ تعليمه. اما العلماء المدققون فقد اثبتوا في ايامنا نقلًا عن الآثار الصادقة ان نسبة الكتاب الهرطوقي للوكاريس امر لا ينكره الّا مكابر (اطلب لوغران في المكتبة اليونانية وماير وهوفمان في دائرة المعارف الالمانية)

الثانية اربعة سوالات خص السؤال الثالث بالاسفار القانونية فانكرها خلافاً لتعليم كنيسته وجرياً على تعليم البروتستانت. وسنة ١٦٢٨ جاء انطون ليجه الهولندي فاستعان بهِ لوكاريس على فتح مدرسة بروتستانية في القسطنطينية كما استعان بسفيري هولندة وانكلترة للثبات في منصبه او العودة اليه وللانتقام من كل محافظ على المعتقد الصادق سواء من الارثوذكسيين او من الكاثوليكيين. لكن «الله جازاهُ على سوء عمله لانهُ كان عدواً لكنيسة الله.» كما جاء في المجمع الارثوذكسي الاورشليمي سنة ١٦٧٢

*

على انَّ الكنيسة الشرقية لم ترضَ ان تكون امانة لوكاريس امانتها فحرمتها في المجامع الكنسية التي التأم فيها البطاركة والمطارنة الارثوذكسيون مراراً في خلال مائة سنة دفاعاً عن الامانة الارثوذكسية :

١ً سنة ١٦٣٨ المجمع القسطنطيني ترأسهُ البطريرك كيرلس كونتاري خلفُ البطريرك كيرلس لوكاريس وحضرهُ عدد من الاباء منهم متروفانوس كريتوبولوس صديق لوكاريس القديم . حُرم فيهِ الكتاب المعزو للوكاريس وحُرم لوكاريس ايضاً كمبتدع وهرطوقي . ولما كان المجمع لم يصف بالتفصيل ما رذله من البدع كلَّف احد الاباء الحاضرين وهو العلامة الشهير ملاثيوس سيريغوس ان يدحضها بنداً بنداً فقام هذا باعباء المهمة احسن قيام والَّف كتاباً (١ فند فيهِ اقوال لوكاريس واثبت اعتقاد الكنيسة ورذَها للهرطقات ومن ذلك اعتقادها بقانونية الاسفار الثانية الالهية متبعاً

امَّا ما جاء بهِ صاحب كتاب تاريخ الانشقاق (مجلد ٣: ٢٥٨ الخ) في اضطهاد الجزويت للبطريرك لوكاريس فهو للروايات الخرافية اقرب منهُ للتاريخ. وكأَني بهِ اضطهاد الحمل للذيب ليس الاَّ. نعم لم يكن اليسوعيون على راي لوكاريس وهم المدافعون عن التقليد والكتاب والاسرار وغيرها من العقائد المسيحية في وجه المراطقة ايًّا كانوا ولذا لم يبخل لوكاريس وصديقاه سفيرا هولندة وانكلترة بالمال الكثير ولم يردعهم ضمير ولا شفقة ولا دين عن الافتراء على المرسلين املاً بسدّ افواههم وطردهم من القسطنطينية ليجعلوا كنيستهم (التي على اسم القديس مبارك) معبداً بروتستنتياً . وعندنا انهُ فرض واجب على الارثوذكس ان يحفظوا احسن ذكر لمن ساعدهم على حفظ وديعة الايمان ويثنوا عليهم اطيب الثناء لردّهم عنهم غارات اشياع لوثاوس وكلوين

(١ Κατὰ τῶν χαλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ερωτήσεων Κυρίλλου τοῦ Λουκάρεως ἀντίρρησις

هذه الاسفار سفرًا سفرًا وختم مقالته المسهبة بقوله: « لذا لا يجب ان يشك المسيحي باحد هذه الاسفار التي تقبلها الكنيسة كتبًا الهية مقامها مقام غيرها من الكتب القانونية . وقاعدتنا الغير المتزعزعة هي الارادة الصريحة التي تظهرها كنيسة المسيح المقدسة . . . وهي انها لا تميز بين الكتب التي يرفضها كيرلس (لوكاريس) وبين غيرها من الكتب القانونية »

وقد اثنى على كتاب سيريغوس المجمع الارثوذكسي الاورشليمي واعتبره امانة صادقة لمعتقد الكنيسة الشرقية

٢ً سنة ١٦٤٢ مجمع القسطنطينية ترأسه بارثينيوس الشيخ البطريرك القسطنطيني وحضره بطرس موجيلا متروبوليت كياف الشهير وفيه جدد الرذل لضلالات لوكاريس . قال المجمع : « اما السوءالات والجوابات التي أُلحقت بفصول الكتاب (اي كتاب لوكاريس) فقد سمع المجمع قراءتها وهي ليست بالجس قيمة من الفصول فان صاحب الامانة ينكر ليس فقط شروح الاباء الاطهار للكتاب المقدس لكنه يبخس قدرَ عددٍ من الاسفار الالهية التي قبلتها المجامع المسكونية المقدسة كاسفار قانونية »

وهذه الشهادة من الاهمية بمكان لان مجمع ياش ونواب الكنيسة الروسية وعدد من المطارنة قد وقَّعوا عليها بيدهم

وعلى اثر المجمع الَّف بطرس موجيلا تعليمهُ او كتاب الامانة الارثوذكسية الذي صادق عليه واثبته البطاركة بكاريوس وبارثنيوس وجوانيسيوس ومكاريوس وبايسيوس وتسعة مطارنة وطبع بهمَّة باناتيوتي باش ترجمان الباب العالي ووُزّع مجانًا وهو يستشهد مرارًا بآيات الاسفار الثانية ويصفها بقوله : « هكذا يُقرأ في كتب الله » « وهكذا تعلمنا الاسفار الالهية » و « يقول الله في اسفاره » الخ

٣ً شهادات الكنائس الخاصة : لما كان البروتستنت لم يكفُّوا عن اتهام الكنيسة الشرقية بالمخالفة لهم والرضاء بتعليمهم امر سنة ١٦٧٠ ملك فرنسة لويس الرابع عشر سفيره في القسطنطينيَّة المركيز اوليه دي نوانتيل ان يعرض على كنائس الشرق ملخص التعليم البروتستنتي في اربعة عشر سوءالًا وطلب من اصحابها الجواب الرسمي عن كل بند فقام السفير بالمهمَّة وبعث الى ملكه مجموعة بديعة في نوعها وقَّع عليها بطاركة واساقفة الطوائف الشرقية وهي باجمعها تخالف التعاليم المبتدعة وتصرّح بايمانها في الامور الواقعة تحت

الجدال متفقة بالايمان مع الكنيسة الرومانية. وهذه النصوص الاصلية لا يزال اكثرها محفوظًا في مجموعات الصكوك الدولية في فرنسة وعنها نشرنا (في المشرق ٧ : ٧٦٦ و ٧٩٥) شهادة البطريرك مكاريوس الشهير. وبين السؤالات سؤال يتعلق بالاسفار الثانية التي ينكرها البروتستانات هل يعتبرها الشرقيون كتبًا الهية قانونية وقسمًا من كلام الله او لا. والجواب واحد بالمعنى وان اختلفت الشروح وهو ان هذه الاسفار هي جزء حقيقي من الكتاب المقدس وكتب قانونية الهية. وقد يحيلون في البرهان الى اعمال مجمع قرطجنة والى قانون الرسل الخامس والثمانين والى استعمال الآباء الاطهار لها ككتب قانونية. وهاك بعض النصوص والتواقيع:

١ قال البطريرك مكاريوس (مشرق ٧ : ٧٩٧): «فليعلموا هؤلاء المخالفين (كذا) اننا نقبل كافة الكتب الالهية المقدسة التي ذكرها في مجامع البيعة الارثوذكسية وفي سائر الكتب التي للآباء القديسين. ومنهم الابوكاليبسيس ورسالة يعقوب اخو (كذا) الرب وطوبيا ويهوديت وسفر حكمة سليمان وسفر الجامعة وباروخ النبي والمكابيين. فجميعهم نقبلهم ونقرأهم في الكنيسة المقدسة الطاهرة الارثوذكسية». وقد وقّع على هذا الاقرار غريغوريوس مطران بصرى وحوران ويواكيم مطران حمص وتسعة خوارنة وقسس. وذلك في دمشق في ٢٠ ت ١ سنة ١٦٧١

٢ وصادق على الاقرار السابق مجمع سبعة اساقفة في القسطنطينية في ١٨ تموز ١٦٧١. وهذه اسماؤهم: برطلماوس مطران هرقلة وارميا مطران خلقيدونة ومثوديوس مطران يزيديا ومتروفانوس مطران سيزيكا وانطون مطران اثينا ويواكيم مطران رردس ونيوفيتوس مطران نيكوميديا

٣ كنيسة جزيرة سيفانتو: وقّع على الشهادة مطران الجزيرة اثناسيوس وستة كهنة

٤ كنيسة اندروس: وقّع مطران اندروس الحالي يعقوب ومطرانها السابق ديونيسيوس وكاهنان

٥ كنيسة اناكسيا: وقع ١٢ كاهنًا وراهبًا

٦ كنيسة كيفالونيا وزانتو وايثاك: وقّع مطرانها بايسيوس و٣٢ رئيسًا وكاهنًا

٧ كنيسة جزيرة ميكون: وقّع النائب الاسقفي وعشرة من الكهنة والرهبان

٨ كنيسة جزيرة ميلو: وقّع مطرانها جراسيموس و ١٢ كاهناً وراهباً

٩ كنيسة كيو (صاقص) وقّع مطرانها و ١٦ كاهناً وراهباً

فهذه منتخبات من شهادة الكنائس اليونانية التي تثبت اعتقادها في قانونية الاسفار الثانية اجابة على السؤال المعروض عليها في قانونية هذه الاسفار او عدمها (١

٤ً مجمع القسطنطينيّة الملتئم في كانون الاول سنة ١٦٧٢. ترأسهُ ديونيسيوس البطريرك القسطنطيني وبمعيته ثلاثة من البطاركة القسطنطينيين السالفين وبايسيوس بطريرك الاسكندريّة وحضرهُ ٣٩ اسقفاً: فهو يحيل في الجواب على الاسفار القانونية التي عليها الجدال الى قوانين الرسل واعمال مجمعي اللاذقية وقرطجنة لان فيها جدول الاسفار التي يجب على المسيحي ان يعتبرها كلام الله خلا مقالات اكليمنس التي رفضها المجمع السادس لان المراطقة قد حرَّفوها. «اما سائر كتب العهد القديم التي لم تذكر في عداد الاسفار الالهية فلا يجب رفضها ككتب وثنية او عالية فان هذه كتب مفيدة لا تستحق احتقاراً». قلنا لما كان قد قبل كاسفار الهية ما ورد تعداده في قوانين الرسل واعمال مجمع قرطجنة حق لنا ان نستنتج قبولهُ صريحاً الاسفار الثانية كقانونيّة وما جاء من سائر الاسفار التي لم تحصَ في قانون الكتاب المقدَّس يراد بهِ كتاب عزرا الثالث والمكابيين الرابع

٥ً واخيراً شهادة المجمع الاورشليمي (١٦٧٢) والقسطنطيني (١٧٢٣): التأم الاول في اذار ١٦٧٢ وحضرهُ واحد وسبعون من البطاركة والمتروبوليتيين والاساقفة من كل الاطراف منهم تيموتاوس وبواصاف النائبان عن الكنيسة الروسية وهذا المجمع تُعتبر اعمالهُ في الكنيسة الارثوذكسيَّة اعظم الاعتبار واليهِ يعود الكتبة اليونان في مباحثهم. ونصُّ الامانة التي سنّها هو نص رسمي لا يقبل زيادة ولا نقصان. اما المجمع القسطنطيني المذكور فقد التأم في ايلول ١٧٢٣ غايته تدوين امانة الكنيسة الارثوذكسية لتُرسل الى بعض من طلبوهُ من اصحاب الكنيسة الانكليكانية رجاء ان تتحد الكنيستان بوحدة الايمان. فاعاد اباء المجمع النظر في امانة ١٦٧٢ واثبتوها. اما التواقيع فهي كما

١) قد نُشرت ترجمة هذه الشهادات في كتاب «ثبات الايمان» (Perpétuité de la foi) المطبوع في باريس مجلد ٣: صفحة ٥٦١ الخ

يلي نقلًا عن النص اليوناني المطبوع حديثًا (١) ١: ارميا... البطريرك المسكوني قد وقّعت بيدي واني اثبت واشهد أن هذه هي الامانة الصادقة في كنيستنا الرسولية الكاثوليكية الشرقية ٢ً — اثناسيوس البطريرك الانطاكي الخ... — ٣ً خريزانتوس البطريرك الاورشليمي — ٤ً تسعة من المتروبوليتين الخ. ومن هذه الظروف يظهر لكل بصير اهمية الشهادة التي نحن في صددها . وهذا نصها اليوناني :

'Ερώτησις γ' 'Ιεράν γραφὴν ποῖα Βιβλία καλεῖς;

'Απόκρισις. Στοιχειοῦντες τῷ κανόνι τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας, ἱερὰν γραφὴν καλοῦμεν ἐκεῖνα πάντα ἃ ὁ Κύριλλος ὑπὸ τῆς ἐν Λαοδικείᾳ συνόδου ἐρανισάμενος ἀριθμεῖ, καὶ πρὸς τούτοις, ἅπερ ἀσυνέτως καὶ ἀμαθῶς εἴτ' οὖν ἐθελοκακούργως ἀπόκρυφα κατωνόμασε· τὴν Σοφίαν δηλαδὴ τοῦ Σολομῶντος, τὴν 'Ιουδίθ, τὸν Τωβίαν, τὴν 'Ιστορίαν τοῦ δράκοντος, τὴν 'Ιστορίαν τῆς Σωσάννης, τοὺς Μακκαβαίους καὶ τὴν Σοφίαν τοῦ Σειράχ. 'Ημεῖς γὰρ μετὰ τῶν ἄλλων τῆς Θείας γραφῆς γνησίων Βιβλίων καὶ ταῦτα γνήσια τῆς γραφῆς μέρη κρίνομεν, ὅτι ἡ παραδόσασα ἀρχαία συνήθεια, καὶ μάλιστα ἡ καθολικὴ ἐκκλησία, γνήσια εἶναι τὰ ἱερὰ εὐαγγέλια καὶ τἄλλα τῆς γραφῆς βιβλία, καὶ ταῦτα εἶναι τῆς ἁγίας γραφῆς μέρη ἀναμφιβόλως παρέδωκε, καὶ τούτων ἡ ἄρνησις, ἐκείνων ἐστὶν αθέτησις. Εἰ δὲ που δοκεῖ μὴ ἀεὶ πάντα ὑπὸ πάντων συγκαταριθμεῖσθαι, οὐδὲν ἧττον ὅμως καὶ ταῦτα παρά τε συνόδων καὶ πολλῶν ὅσων τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας παλαιοτάτων τε καὶ ἐγκρίτων θεολόγων ἀριθμεῖται καὶ συγκαταριθμεῖται τῇ πάσῃ γραφῇ. ἃ πάντα καὶ ἡμεῖς κανονικὰ Βιβλία κρίνομεν, καὶ ταῦτα τὴν ἱερὰν γραφὴν εἶναι ὁμολογοῦμεν.

وتعريبها بالحرف الواحد: « السؤال الثالث: ايّ الاسفار تسميها الكتاب المقدس؟ (الجواب): « اننا تبعًا لقانون الكنيسة الجامعة ندعو كتابًا مقدسًا جميع الاسفار التي احصاها كيرلس [لوكاريس] نقلًا عن مجمع اللاذقية وما خلاها تلك الاسفار التي بغير تروّ وبجهل او بالاحرى بتعمُّد شرير دعاها ابوكريفا وهي حكمة سليمان ويهوديت وطوبيا وخبر التنين وخبر سوسان والمكابين وحكمة سيراخ . ونحن نحكم ان هذه ايضًا هي جزء حقيقي من الكتاب الالهي مع سائر اسفار الكتاب المقدس الحقيقية وذلك لان التقليد القديم او بالاحرى الكنيسة الجامعة التي سلمتنا الاناجيل المقدسة والكتب

١) مانسي مجموعة المجامع ٣٧: ٥٤٢-٥٨٠

الأخرى المقدسة كتآليف منزلة قد سلمتنا بلا ريب هذه الاسفار ايضاً كتسم من الكتاب المقدس حتى ان من ينكر هذه ينكر تلك. على انهُ اذا كانت كل هذه الاسفار لم تحصَ دائماً ومن الجميع لكنها مع ذلك قد قبلتها المجامع وعددٌ عديد من لاهوتيي الكنيسة الجامعة الاكثر قدماً وتدقيقاً واضافوها الى الكتاب المقدس. وجميع هـذه الاسفار نحن ايضاً نحكم انها اسفار قانونية ونعترف انها الكتاب المقدس »

أتكون شهادة اصرح من هذه على صدق قانونية الاسفار التي ينكرها صاحب النعمة والكلمة؟ أليس هذا هو معتقـد الكنيسة الارثوذكسية كما بيّناهُ جلياً؟ وايّ برهان افصح من ذكر احكام المجامع المتعددة المتفقة لفظاً ومعنى والمدافعة دفاعاً حرّاً عن وديعة الايمان

البروتستنت والكنيسة الارثوذكسيّة

ولعلَّ سائلاً يقول: ما لنا مع ذلك نرى بعض الكتبة الروم الارثوذكس ينكرون هذه العقيدة ولا يخشون معارضاً؟ وكيف يدّعون ان تعليمهم اليوم هو التعليم الذي ما برحت الكنيسة الشرقيّة الارثوذكسيّة معتصمة بهِ؟

جوابنا: أنهم يجهلون تاريخ طائفتهم وكتب بطاركتهم ومجامعهم. وعوضاً عن ان يدرسوا العقائد والتاريخ في منابعهِ الاصليّة نراهم يشربون مياه السواقي مهما تعكرت. وهذا ما جرى في مسألة الاسفار الثانية. وها انّا نتتبع الان تاريخ هذه العقيدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فنبين ان السمّ قد القاه البروتستنت في صدر الكنيسة الروسية ومنها امتدت العدوى الى بلادنا رويداً رويداً. لكننا نعتبر الكنيسة الرومية في بلادنا غير راضية بهذه البدعة وان تساهلت في اغضاء الطرف عنها وذلك عن بساطة ان لم نقل عن عدم اكتراث بوديعة الايمان

قد فشا الداء في البلاد الروسية ايام نهضتها زمن بطرس الكبير. فان القيصر استمدَّ مساعدة الكثيرين من البروتستنت. قال فيلاريت المتروبوليت في تاريخ الكنيسة الروسية: «كان في هـذه الفترة الحرس والوزراء والمجمع العلمي والجيش والبحرية في قبضة البروتستنت». وقد قام بدسّ التعليم البروتستنتي فيوفانوس بروكوبوفيتش الذي ترأس المجمع العلمي في كياف. قال فيلاريت في تاريخهِ السابق ذكرهُ

ان « فيوفانوس كان يبغض الكنيسة الرومانية بغضاً تجاوز فيه الحدود ولا ينكر اعجابه بلوثير وكلوين . . . وكان فيوفانوس في كل حياته مقتدياً بروح العالم خالياً من روح المسيح محباً للفخفخة عائشاً عيشة سيئة » فانكر هذه الاسفار الثانية ببراهين غريبة في بابها . وانتشر تعليمه لعلو منصبه وصداقة القيصر له . فقام عليه جدعون فيشنفسكي وتيوفيلكتوس لوباتنسكي والاكمرخس اسطفان ايافورسكي فدحضوا مبادئه والّف ايافورسكي كتاب « صخرة الايمان » لاثبات العقائد الارثوذكسيَّة ضد فيوفانوس . منها المقيدة في قانونيَّة الاسفار الثانية (١ وشاركهم في المعتقد الصادق متربوليت روستوف ديمتري (الذي دوَّنت الكنيسة الروسية اسمهُ في عداد القديسين) كما يظهر جلياً من تآليفه ومواعظه المطبوعة في موسكو سنة ١٨٣٩ . وفي سنة ١٧٢٣ بعث بطاركة الشرق الى روسيَّة بالرسالة السينوديَّة التي سبق لنا وصفها فقبلها المجمع والكنيسة الروسية كقاعدة الايمان الارثوذكسي . لكن الداء البروتستنتي كان يمتدّ يوماً بعد يوم بسعي فالكونسكي وليبيدنسكي وفيلاريت ومكاريوس ولذا لما جددوا سنة ١٨٤٠ طبع « رسالة البطاركة » التي ذكرناها ضرب مجمع بطرسبورج الصفح عن القسم الثالث الذي نقلناهُ لئلا يعرف القارئ امانة الكنيسة الارثوذكسيَّة . وهذا امر لا يرضى به كاتب امين فما قولك في ابطال جزء من عقيدة الايمان ? وقد اقرَّ الكسيس سيبرنسكي وجرنفيروف ان هذا التعليم (اي تعليمها الباطل) لم يتمكن حتى ايامنا من الافكار في الكنيسة الروسيَّة .

☆

ومن البلاد الروسية سرت العلة الى البطريركيات الشرقية لان ابناءها من اليونان والعرب جعلوا ينقلون الكتب الروسيَّة الى لغاتهم دون تنقيب ولا بحث . ولا ندري هل قام الاكليرس الارثوذكسي بواجب السهر على وديعة الايمان التي شهدوا بها مراراً كما

-----

١) وقد مدح هذا التاليف استورزا الارثوذكسي في كتابهِ « المقابلة المضاعفة » طبعة القدس سنة ١٨٦٠ صفحة ٥٠ فوصفهُ بما حرفهُ : « التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي رئيس اساقفة ريزاني المنون « بصخرة الايمان » الحاوي الاعتبارات الواسعة والشامل كل الابحاث المجادل بها من اصحاب التنيير الناشئين في الدهر السادس عشر حيث تذكر حرفياً ادنى البراهين ايضاً التي ينصبها اصحاب التجديد ضد تعليم الكنيسة وتقاوم ويُردُّ عليها واحداً فواحداً »

بيِّنًا . ففي سنة ١٧٨٢ ترجم ادامنتيوس كورايس الصاقصي كتاب بلاطون متروليت موسكو فابطل منهُ ما شاء وزاد عليهِ حواشي اقتبسها من متروفانوس كريتوبولس كما اقرّ ومن محادثاته مع صديقهِ برزدس كوين المبشر الكلويني في قنصلية هولندة بازمير وادريان بورت كاهن كلويني في امستردام حيث اقام كورايس مدةً للتجارة . وقد طبعت كتبهُ في ليبسيك من اعمال المانيا وفي امستردام عاصمة هولندة وغيرهما من المدن . وفي هذه الكتب ينكر الاسفار الثانية كما جاء في حواشيهِ على كتاب بلاطون (Ὀρθόδοξος διδασκαλία) مع ان بلاطون على ما نظن كان مخالفًا لمبدإ بركوبوفيتش محافظًا على الاعتقاد بقانونيَّة الاسفار الثانية لاستشهادهِ بها مرارًا (١ ولم يكتفِ كورايس بانكار هذه الاسفار المقدَّسة لكنه تجرأ بعيد ذلك على انكار الفرق بين الاسقف والكاهن والشماس والاتقاد على الاصوام والطقوس الارثوذكسية الخ

وسعى مسماهُ تيوفيلوس بابافيلوس واوجين بولغاريس وغيرهما لكن الايمان لم يُحرم من المدافعين فقام قسطنطين اوكونوموس مفندًا تعليم كورايس . ثم انطون موسكوبولس الذي الف « ملخص اللاهوت » (٢ ومن قولهِ ما جاء لهُ في الصفحة ١١ من طبعة ١٨٥١ في جزيرة كيفالونيا :

وما خلا الكتب القانونية الاولى يوجد كتب اخرى تُدعى قانونية ثانية لانها لم تحملها الكنيسة اولًا في القانون وذلك لان البعض من المؤمنين كانوا يشكُّون في قانونيتها . وهي هذه للعهد العتيق :

---

١) كذا قرأنا في كتاب الاب جوجي (Jugie) الصعودي (اطلب الصفحة ٢١٢) وصفًا للترجمة اليونانيَّة التي طبعت في القسطنطينية سنة ١٨٣٥ نقلًا عن الاصل الروسي وقد تطاول مترجمو كتب بلاطون على نص المؤلف فحرَّفوا وزادوا ونقَّصوا وحشَّوا الخ فانكر المؤلف عليهم عملهم على ما اخبر الكاتب المانتريوتيس . وليس لدينا نسخ اصلية لكتب بلاطون لنتأكد الامر عيانًا ونقابل بين ما هو للمؤلف وما هو للمترجمين والطابعين . على ان الطبعة العربية المعربة « ببعض تصرف » « بقلم الخوري يوحنا حزبون سنة ١٨٩٧ عن المتن اليوناني الذي نقف عبارته الاستاذ قسطندي نسطوريدس واصلح ترتيبه وعلّق عليهِ بعض حواش » تخالف ما استشهدنا بهِ في النص فانها تدعو اسفار المكابيين وحكمة سليمان وسيراخ الخ ابوكريفا وغير قانونية . ولا ندري هل النقرة للمؤلف او لغيره . وقد قابلنا بين الابواب والفصول التي ذكرها الاب جوجي في وصفهِ وبين ابواب وفصول الطبعة العربية فلم نصل الى نتيجة لعدم مطابقتهما لبعضهما . والله اعلم

٢) Ἐπιτομὴ τῆς δογματικῆς καὶ ἠθικῆς Θεολογίας

حكمة سليمان وحكمة سيراخ وطوبيا ويهوديت وباروخ . . . وهذه الكتب يعددها القانون ٨٥ من قوانين الرسل. وكنيسة المسيح باسرها تقبلها وتعتبرها في مصاف القانونية الاولى. ويوجد ايضاً قطع قانونية ثانية وهي في العهد العتيق: السبعة الفصول الاخيرة في سفر استير وترنيمة الثلاثة الفتيان واخبار سوسان وبيل والتنين الموجودة في سفر دانيال. هذه القطع تقبلها ايضاً الكنيسة ككتب حقيقية مقدسة على مثال الاسفار القانونية الاولى

ثم نيقيفوروس ثيوتوكيس نشر في ڤيَنَّة كتاب الكاهن كليمان (اكليمنتوس) باللغة اليونانية وفيه دفاع مسهب عن الاسفار الثانوية. ثم نشر راهبان يسميان اغابيوس ونيكوديموس من رهبان جبل اثوس شرحاً مهماً على القوانين سُمّي بيداليون (Πηδάλιον) وقد ذكر هذه المجموعة صاحب المقالة في النعمة لكنهُ سها عن ملاحظة ما جاء في الكتاب من التعاليم الموافقة لقانونية الاسفار الثانية فانَّ صاحبَيهِ يقبلان حكم مجمع قرطجنة بدون خلاف ويدافعان عن قانونيَّة عدد من هذه الاسفار وان شكَّا في سفر نحميا وفي القطع اللاحقة بدانيال. ثم قام الكاهن قسطنطين اوكونوموس وكيل الكنيسة الكبرى والف كتباً جمة اهمها تاريخ الترجمة السبعينيَّة للعهد القديم طبعهُ في اربعة مجلدات في اثينا. وقد اثنى على مؤلفهِ ثناء ممتازاً خمسة من بطاركة القسطنطينية على انها التعليم الارثوذكسي الصادق وهم البطريرك انثيموس السادس مع سينودس سنة ١٨٤٨ وانثيموس الرابع وقوسطنتيوس الاول وغريغوريوس السادس ويرمانوس الرابع كما تشهد بذلك رسائلهم المطبوعة في صدر المجلد الرابع وقد دافع اوكونوموس احسن دفاع عن قانونيَّة الاسفار الثانية في ١٢٠ صفحة من كتابهِ. قال عن قانون مجمع قرطجنة في الاسفار الثانويَّة:

« ان هذا القانون قد اثبتهُ المجمع المسكوني السادس ومن ثمَّ قد اتخذ من هذا الاثبات سلطة مسكونية وجامعة فان المقيدة في وحي الكتب المسماة ἀναγινωσκόμενα هي كانت تقليد قديم من الاباء القديسين وعلى هذا التقليد استند مجمع قرطجنة فامر ان تُقرأ هذه الاسفار مع الاسفار القانونية الاولى » . . . وقال: « والكنيسة الرومانية ذاتها تقبل ايضاً وتكرم وتقرأ هذه الاسفار وهي في هذا حافظة التقليد القديم للكنيسة الواحدة وقد اشهرت رسمياً معتقدها في المجمع التريدنتيني ». وقال ايضاً: « ان هذه الاسفار قد اشُهرت رسمياً من المجامع المسكونية للكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية عمود الحق فان هذه المجامع قد اثبتت مجمع قرطجنة المكاني ولذا فان كنيسة المومنين الارثوذكسية تعترف قانوناً واحداً يضم كل الكتب الموحى بها في العهدين العتيق والحديث وهو القانون الكنسي وبحسب هذا القانون فان الجدول الكامل للعهد العتيق يحتوي على كل الاسفار القانونيـة الموجودة في جدول عزرا وكل الاسفار ἀναγινωσκόμενα

على انها جزء من الكتاب المقدس ولا تميّز كأن في هذه الاسفار درجة من الوحي اقل او اضعف او اغمض

ثم اسكندر استورزا المعلم بمدينة اودسا في كثير من كتبه منها كتاب المقابلة المضاعفة (Διπλουν παραλληλον) المترجم الى اليونانيَّة من السيد قسطنطين تيالدس رئيس مدرسة خالكي اللاهوتيَّة ومنها الى العربيَّة من احد المطارنة وابناء الكرسي الانطاكي . وقد طبع في اورشليم بامر غبطة البطريرك كيرلس الاورشليمي سنة ١٨٦٠ فانهُ يستند في اظهاره امانة الكنيسة الارثوذكسيَّة ضد البروتستانت على « التعليم المسيحي الكبير تاليف بطرس موجيلا مطران مدينة كياف . . وعلى اعتراف الايمان للرسل من بطاركة الشرق الى مجمع روسية المقدس سنة ١٧٢١ وعلى التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي » وهؤلاء كما رأينا من المدافعين عن قانونية الاسفار الثانية . قال استورزا في الفصل السابع في حال النفوس السعيدة بعد الموت وفي التضرع من اجل الراقدين صفحة ٩٦ و١٠٠ من الطبعة العربية) :

« وعادة التضرع من اجل الراقدين هي اقدم من تأسُّس مخلصنا ايضاً . ولكي تحقق ذلك لنفتح اولًا صحف العهد العتيق الموحى بها من الله . ففي كتاب المكابيين الثاني (ص ١٢ عدد ٣٢) نجد محرَّرًا ان (الاسرائيليين) توجهوا للتضرع (من اجل القتلى الذين سقطوا في الحرب) متحققين ان الخطية المرتكبة تمحى بالكلية ثم بعد ذلك محرَّر « ان يهوذا المكابي جمع الفي درهم فضة على عدد الرجال المحاربين وارسلها الى اورشليم لاجل تقدمة ذبيحة عن خطية (الموتى) . وباطلًا يرفض الذين يضادُّون التضرعات من اجل الراقدين صحة كتاب المكابيين هذا بدعوى انهُ غير قانوني لان الكنيسة تعرفهُ قانونيًا بموجب حكم قوانين الرسل (قانون ٨٥) . ثم ان كتاب طوبيت يقول « اسكب خبزك وخمرك على قبور الصديقين ولا تعطهما للخطأة (طوبيا ص ٤) فاباء الكنيسة القديسون يستنتجون من هذا النص وجوب اعطاء ماكولات ومشروبات للفقراء تذكارًا للموتى . ثم اننا في كتاب حكمة سيراخ (ص٧ ع ٣٥) نجد محررًا هكذا : « لتكن نعمة الاعطاء امام كل حي ولا تمنع نعمة كل ميت » فليس القصد بهذا القول ايضاح وجوب دفن الموتى لان هذا الواجب هو في الوقت ذاته ضرورة مطلقة . راجع المقالة البديعة عن هذا النص التي للسيد فيلاريطس مطران موسكا الكلي الطهر (مجلد ٢ من مجموع المواعظ والمقالات الكاملة صفحة ٣٦٤) من سفر الملوك الاول (ص ٢١ ع ١٣) ومن نبوات ارميا (ص ١٦) ومن سفر الايام الخ » (انتهى)

فاي برهان اثبت من اعتبار استورزا لقانونية هذه الكتب كما يعتبر قانونية سفر الملوك ونبوة ارميا وسفر الايام

ولنقف هنا عند هذه الشهادات غير ذاكرين شهادة كاليفرونوس وبرنداكيس ونكتاريوس كيفالاس وغيرهم الموافقين للتعليم القديم في قانونية الاسفار الثانية رغمًا عمَّا نُشر وعُرّب موخرًا عن الكتب الروسيَّة التي بواسطتها جعل الخلاف يمتدّ بين ابناء الكنيسة وهي قانع وتدافع عن الحقيقة. ولنا في قولنا شاهد عظيم ألا وهو شهادة البطريركيَّة الانطاكية الارثوذكسيَّة سنة ١٨٧٠ وذلك انها لما رأت ان المطبعة البروتستنتية قد ابطلت الاسفار الثانوية من الكتاب المقدَّس نشرت هـذه الاسفار في الكتاب الآتي: «كتاب تكملة الكتب المقدَّسة القانونيَّـة المقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية. طبع بالمطبعة الوطنية باذن غبطـة كيريوس ايروتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقـة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي في بيروت سنة ١٨٧٠» ويليه المقدمة بامضاء الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيـدة ناطور وها نحن ننقل بعض فقرها بالحرف الواحد :

وبعدُ. ان الكتاب المقدس اذ طبع عربياً قد اهملت منهُ هذه الاسفار المقدسة بدعوى انها مجهولة او لاسباب أُخر. مع ان الجمهور المسيحي شرقًا وغربًا في صدر النصرانية الاقرب عهدًا من الايمان قد استعملها كقسم من اجزاء الكتاب المقدس الصحيح الاعتبار »...

« وضروري هنا ان نورد الشهادات التي توضح ان هذه الاسفار مثبتةٌ من الكنيسة ومقبولة نظير الكتب القانونية وهي هذه...

وبعد تعداد البراهين قال :

« ان المجمعين اللذين انعقد احدهما في القسطنطينية ثم كمل في ياش سنة ١٦٤٣ في رئاسة برثانيوس البطريرك القسطنطيني المدعو شيخًا وبحضور بطرس موجيلا مطران كيف وكل بلاد روسيا. والثاني في اورشليم سنة ١٦٧٢ في رئاسة دوسيثاوس البطريرك الاورشليمي . فهذان المجمعان قد أعلنا ان الكتب المقروة اعني بها كتاب استير وكتاب يهوديت وحكمة سليمن وحكمة ابن سيراخ واسفار المكابيين هي كتب مقدسة الهية

هكذا ان الكنيسة الغربية حافظةٌ هذا الترتيب نفسهُ بقبولها الكتب المقروة بمنزلة كتب شريفة الهية كما اعلن بذلك المجمع التريدنتيني. ان الكنيسة شرقًا وغربًا قد تسلمت كتاب العهد العتيق بالنسخة السبعينية التي فيها كانت هذه الكتب مضمومة كلها كتابًا واحدًا بلا امتياز وفي مدة تيّف عن الف وخمسمائة سنة كانت تستعمل الكتاب بالاسفار المذكورة تمامًا. وحتى الجيل السادس عشر لم يكن احد من الطوائف النصرانية يعترض على استعمالها الّا في هذه الازمنة الاخيرة بعد انفصال قوم عن الكنيسة الغربية . فمن حيث ان هذه الكتب مقبولة في جميع الكنائس المسيحية

(اي اللاتين والارمن والسريان الخ) فلا اثنان الى طائفة واحدة تنكر استعمالها . لاسيما ان كنيستنا الارثوذكسية تتلو علنًا في صلواتها قرآءات من حكمة سليمان نظير ما تتلوه من الامثال . ومن اقوال باروخ وتسبحة الثلاثة فتية وصلوة منسَّى الملك وما شابه ذلك . وهذا لعمري مرتب من مشاهير اباء الكنيسة الافاضل المشهود لهم بالعلوم الالهية والطبيعية والمعارف والتقوى والقداسة الذين اذا ما اردنا ايراد شهاداتهم تفصيلًا يقتضي الامر بنا الى الاطالة »

*

الخاتمة : فمن هـذا يتضح جليًّا لكل ذي نية سليمة ان الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسية كانت تعتقد بقانونية هذه الكتب الالهية . فان قالت اليوم بـدواه وعرض عليها تغيّر فتكون قد فقدت في فترة وجيزة عقيدة مقدَّسة من وديعة الايمان وهي على قولها « المعصومة عن الغلط والضلال » فيا للاسف ! . وان كانت لا تزال معتصمة بقول البطاركة والمطارنة والمجامع الارثوذكسية وجلّ الكتبة الارثوذكسيين الذين تتبعنا اقوالهم فما لها تجيز نشر مثل هذه المقالات الضالّة المُضلَّة في مجلتين ارثوذكسيتين مجلة « النعمة » التي تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق ومجلـة « الكلمة » التي يصدرها سيادة الاسقف روفائيل هواويني الارثوذكسي في نيويرك

ولنا امل ان غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي المبجّل لا يسمح في ايام رئاسته ان يسطو الضلال على وديعة الايمان المقدس فيختلس قسماً من اسفار الله ولهُ في سلفائه مثال طيّب يأتسي بهِ للدفاع عن الحق راجين ان يعلن رسميًّا لإراحة ضمير الكثيرين صدق المعتقد الذي ما برحت الكنيسة الشرقية معتصمة بهِ اعني قانونية الاسفار الثانية وتنزيلها

المعارض الوطنيَّة

بقلم مكاتبنا الاديب احمد افندي تقيّ الدين

(المشرق) نرغب كل الرغبة في انشاء المعارض الوطنيَّة لتوسيع نطاق صناعة بلادنا وتعزيز تجارتها . وقد فتح المشرق بابًا لوصف الصنائع الوطنيَّة واعمال اربابها كما يتضح من فهارسه السنوية . ولمَّا أُنشئ في الشوير اوَّل معرض وطني أسرعنا الى تنشيطهِ بالمشرق لكنَّ آمالنا فيـه قد خابت نوعًا لمَّا رأينا اصحابهُ يتحرَّون فيهِ ليس الخدمة الخالصة للوطن لـ ترويج بضاعة أُخرى لا يمكننا الاتجار بها نريد نشر ما يدعونهُ « بالمبادئ الحرَّة » . ومن ثم اصطبغ ذلك المعرض بصبغة مشؤُومة

كانت من اقوى اسباب خمولهِ. ولم يَخلُ معرض زحلة من تلك الصبغة فيها فكان الامر سبباً لنفور الكثيرين من موازرة شؤونهِ. فان اراد ذوو الحمية الوطنيَّة ان تنجح هذه المعارض —وكلّ رغبتنا ان تنجح النجاح التامّ— فلا بدَّ ان يجرّدوها من كل صبغة مشتبهة فلا يُطلَب من انشائها سوى الخير العامّ والمنفعة الوطنيَّة دون التحزُّب لشيعة خاصَّة. وكان الأولى ان الحكومة نفسها تتولى تدبير هذه المعارض وتعين لجنة مؤلفة من كل العناصر والطوائف للنظر في امورها فتتَّفق كل القلوب في رفع شأنها وتوطيد اركانها فلا شك انها تأتي باثمار شهية وتكون من اقوى اسباب الترقي للبلاد ونفع العباد

مع هذا التحفُّظ ننشر المقالة الآتية لمكاتبنا الفاضل احمد افندي تقي الدين لتكون هذه النبذة كعامل جديد لنهض الهمم واخلاص الخدمة للوطن ل. ش

لا يخفى ان المعارض في البلدان هي صورة رقيّها وعنوان حياتها . وبقدر ما تكون الأمة راقية في مصالحها تكون معارضها راقية ايضاً. وليس هذا المشروع من مبتكرات هذا العصر بل للعصر القديم فيهِ يد بيضاء. وقد كانت الامم التي خلت تختلف في اوقات معيَّنة الى اماكن معينة تعرض فيها بضاعتها على اختلاف اجناسها وانواعها. وكانت العرب في الجاهلية تنحو هذا النحو وتسمي المعرض سوقاً وما سوق عكاظ والمعلقات السبع فيهِ بمنسيَّة من الناطقين بالضاد. ومن هذا القبيل ما يقام كل اسبوع في سهل دعلى مقربة من حاصبيَّا ويسمى سوق الخان الذي وان اختلف ظاهراً من حيث الشكل والترتيب والمعروضات يتفق باطناً من حيث الغاية الاساسية

وعليهِ لمَّا كان لبنان —وهو حبَّة قلب سوريَّة التي كانت معرضاً للترقيات العالمية— قد قُلبت عليهِ سماؤهُ واهمل سكانه الصناعة التي كان هو مهبط فنونها. حدت الغيرة الوطنيَّة ابناءهُ على العمل في سبيل احياء مواته واعادة رونقهِ. وكان من ذوي الهمَّة ان نشطوا من العقال وتدبَّروا المصلحة الوطنيَّة بسعيهم وجهادهم وانشأوا لاول مرَّة في الشوير المعرض اللبناني للمصالح السوريَّة فصادف من ذوي الهمة ارتياحاً ووجد من اهل الفضل والوطنيَّة موازرة واقبالاً وها هو هذه السنة قائم في زحلة على ضفَّة بردونيها يروي زائريهِ بماء رونقهِ وبطلاوة مصنوعاتهِ وحسن معروضاتهِ كما يسقي البردوني ما حواليهِ من الرياض والغياض

المعرض الوطني في لبنان مرآة رقيِّهِ ومثال حياتهِ وعلى قدر ما يكون زائرهُ راقياً يتمثل حقيقة ذلك الرقي ويتفهم معنى تلك الحياة ومثلما يرى المتفرّج فيهِ صورة لبنان

الطبيعية اي هضابهُ ووديانهُ مجسَّمة ايضاً بمظاهر الصناعة وادلَّة الحياة والزائرون هذه السنة يرون فيهِ تحسيناً عمَّا قبل

اما المعروضات فيهِ فاكثرها لبنانيَّة وبعضها وطنيَّة دخيلة على لبنان من الشام والقدس وحلب وحمص وحماة فضلًا عن السجَّاد العجمي. واهمّ المصنوعات اللبنانيَّة المنسوجات الزوقيَّة المشهورة والطف المنسوجات وارقاها صناعة «الابرة والصنَّارة» كالتطريز والزركشة والترويق والتخريم والتخريج الى غير ذلك من بنات الايدي لا من ايدي البنات الى كلّ ما يرجع الفضل فيهِ الى مملكة الجنس اللطيف

وفي طليعة المعروضات التي تستحق الذكر خريطة لبنان مجسَّمة تامَّة ظاهرة للعيان بهيئة محسوسة مرسومة بيد المهندس المعروف بالرياشي. ويتلوها في الحسن ودقة الصناعة بساط من حرير مرسوم عليهِ مثال دولة متصرف لبنان الحالي. وممَّا يحسن ذكره ويخطر لي ببال صورة مطرَّزة بالحرير على الحرير تمثل ابراهيم شاهرًا مديةً لتضحية وليده الجاثي امامهُ وملاكًا من السماء ماسكًا بيده يد ابراهيم ومقدمًا لهُ حملًا وهذه الصورة الحريريَّة مدمجة بيد حضرة السيدة المهذَّبة المعلمة انيسة حاصباني المصطافة الان في بعقلين. والنكتة الجميلة التي يُستظرف التنويه بها حبَّة ارزّ مكتوب عليها ستون كلمة ذات معنى منتسق بقلم احد ابناء الطائفة الدرزيَّة من عيتات. وتهيك ما هي المناسبة بين حبة الارز والاحدى والستين كلمة وقد رؤيت بالمجهر (الكرسكوب) فاذا هي مقروءة (١

وفي جملة المنسوجات السجَّاد البعقليني المعروف بالتاتة الذي وان يكن لا يزاحم السجاد العجمي الَّا ان متانته ومسحتهُ اللبنانيَّة تشفعان بالاقبال عليهِ من الوطنيين. وفي بعقلين ايضًا حياكة الاعبئة على اختلاف انواعها وعمل الصابون وغير ذلك. وفي اقليم الخروب وهو الجهة الجنوبيَّة من قضاء الشوف كثير من المنسوجات الوطنيَّة المعروف بعضها «بالديما» التي وان لم تكن راقية فهي صالحة للملبوس على وجهين هما متانتها ورخصها

وزبدة القول ان المعرض اللبناني هو معرضنا والصناعة المبسوطة فيهِ هي صناعتنا

---

١) اطلب تاريخ بيروت ليحيى بن صالح امير الغرب (الصفحة ٢٠٦) وهو يذكر مثل ذلك لاحد اجداده عزّ الدين جواد الذي كتب سورة الكرسي على حبَّة ارزّ (المشرق)

فاذ نحن لم نُقبل على مؤازرة هذا المشروع المفيد فمن نطالب بالاقبال عليه واذ نحن لم نلبس منسوجات بلادنا فمن نؤاخذ في لبسها. أمن الاجانب نرجو ان يحيوا مشروعنا وهم في غنى عن مشروعنا لاسيا ونحن بمثل هذه النهضة نحارب تجارتهم ونصادر صناعتهم ونتحرر من رقهم

على رسلكم الى من تطلب الزوق مثلًا ان يزيّن بيتهُ بمنسوجاتها اذا كانت هي لا تحفل بمنسوجاتها ومن نرجو بمعقلين مثلًا ان يفرش سجّادها اذا كانت هي لا تفرش سجّادها وهلم جرًّا. الناس من طبعهم يميلون الى الاحسن الّا ان كفيل نجاح المصالح الوطنيّة هو الثمرة الوطنيّة التي يعبّر عنها بالحميّة

غضبنا على النسا فصادرنا بضائعها وغضبنا على طربوشها فكأننا غضبنا على رؤوسنا مكشوفة او شبه مكشوفة ولو صادرتنا دولة ثانية او بعض الدول نكون كأننا صادرنا انفسنا ورضينا عن تجريد اجسامنا من اثوابها. وعليه اذا كنا نريد ان نكون احرارًا بكل معنى الكلمة يجب علينا ان نستجمع شروط الحريّة بكمالها وان نصير احرارًا بالعمل كما صرنا احرارًا بالقول. ومن امهات المقدمات المؤدية الى هذه النتائج إحياء موات الصناعة والزراعة فضلًا عن العلم في هذا الوطن العزيز وذلك بترويج المشروعات الوطنيّة كالمعرض اللبناني الصناعي الذي هو نفخة في نابض الوطنيّة والاصلاح ودلالة على تقدم الشعب اللبناني على حد قول الشاعر: «ان آثارنا تدلّ علينا».

وقد قلنا في المعرض الاخير ما جادت به القريحة:

يا رَبعَ زحلة دُمتَ زاهرْ   تختال صفَّتك الأزاهرْ
وستتك غاديةُ المنى   وبلا كَبَرْدُونيك هامرْ
ما كنتُ احسب انَّ حسنك باعثٌ ميتَ الشواعرْ
حتى أَمَمتُكَ زائرًا   فغدوتُ في مغناك شاعرْ
انا ان شعرتُ فليس لي   فضلٌ وفيك الصخر شاعرْ
واذا نظمتُ فناقلٌ   نظمي الضعيف عن الدفاترْ
ليراعتي الالفاظ م   لكنَّ المعاني للمناظرْ
واذا سكرتُ فشاربٌ   خمري من الانس الخامرْ
وتنوّعت حولي الكؤو   سُ كما تنوّعتَ المزاهرْ

اتريد مني ان أكا بر حيتا عبثاً اكابر

*

يا حُسنهُ نهرًا يسيل م بكل عاطفةٍ وخاطر
الماء يجري والحصى تشكو كأن الماء جائر
ماءٌ على حصبانه مترقرق كالدمع غامر
هو ينحتُ الحصباء م والحصباء كالمظلوم صابر
والروض حولهما رقيب م سامع النجوى وناظر
هــذا الجماد يقول م للاحياء اصحاب الضمائر
انا شاكر فضل الاله م أأنت يا انسانُ شاكر

*

هي زحلة في مائها الفضّيّ تنتقل الخواطر
الانس فيها ينجلي كالعيد في ابهى المظاهر
والعيش فيها ساحب اذياله مثل الجآذر
يسحبنّ اردان الدلا ل على الاصاغر والاكابر
يرفلن في حلل الحرير م وهنّ في حلل الشمائر
يخطرن مـا بين الريا ض وهنّ في الصدر الخواطر
والناس في هــذا وذا ءِ بين مأسورٍ وآسر

*

هي زحلة البلدُ الخصيب م المرتقي بين الدساكر
والمعرض الوطنيُّ قـام م بوجهها انسان ناظر
هو نفخةٌ في نابض م الوطن العزيز وفي البصائر
هو صورة لحياتنا يبدو سناها للنواظر
هو روضة الايدي العوا مل في الرقيّ وفي المفاخر
تُتلى بهِ آيُ الصنا عة بالاطالس والحرائر
سم الخياط خطيبهُ وانامل الصنّاع شاعر
وبيانه الذوق السليم م وسحرهُ صدق الظواهر

من أمّه وشرى يكو ن ولو بغبنٍ غيرَ خاسرْ
هو يشتري معنى حيا ة ربوع لبنان الزواهرْ
هو يشتري تذكار مو طنهِ المقدّس في الضمائرْ
يا هنّـةٌ نشطت م بلبنانٍ وحرّتْ كلَّ فاترْ
دومي فديتُـكِ هنّةٌ لا تختشي هول المخاطرْ
ان الشجاعـة منبت م الاحرار حقًّا والحرائرْ
وكذا التحـالُف محورٌ معنى الرقيّ عليه دائرْ
بنت الاوائل والعـلى تقضي بأن تُبنى المفاخرْ

الكثلكة في ماردين

روايةٌ لشاهد عيانٍ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فلمّا حسّت اولاد الكاثوليك انني انحبستُ اتوا الى مار يوسف وقال لهُ الواحد منهم: صباح الخير يا عيسو. فقال لهُ البطرك: لماذا تكلمني هكـذا قال لان العيس باع بكوريّتهُ باكلة عدس وانت بعتَ ابنك بشقّـة لحم. فقال: حاشا وكلّا فانا ما لي خبر بالامر. ثم بعث خلف الخواجا اسحق واعلمـهُ بحالي. فلمّا سمع اني انا في الحبس اغتاظ غيظًا عظيمًا وقال: سيزدّون الغرامتهِ اربعة اكيـاس وما اترك الامير يرضى الّا بهـا

فبقيتُ سبعة ايام في الزنجير في شهر تموز في موضع يقال له « التون باغا » فاسودّت وجوههم واعطوا الغرامة وافلتوني وانا راح لي قرشان. وهذا اوّل دخولي للحبس. فلمّا طلعتُ طال لساني عليهم ازيد وازيد. فخاف البطرك وهرب الى حلب ورجع مـار يوسف الى دياربكر والكركي راح الى اسطنبول وهلك في الطريق. امّا الشماس نعمه ابن عجم ابو الفقراء فالكاثوليـك رسموهُ قسيسًا وبعد ما ارتسم اختلط مع اولاد الكاثوليك وحرم ما تحرِمهُ الكنيسة وراح لعند مار يوسف فاعطـاهُ شلموثا (١ وهو

١) لفظة سريانية بمعنى السلام واراد بها هنا قرار الايمان وشهادة الخضوع

البطرك حلولًا ليعرّف اولاد الكاثوليك وجاء الى ماردين واخذ كنيسة مار ايليا. وبقيتُ اروح اخدم على يدهِ القداس انا وبقية الشمامسة الكاثوليك وكنت الم له في الاسبوع قرشًا ونصف لانهُ كان فقير الحال وصاحب عيلة وما يعرف من العلم شيئًا. اما امرأته فكانت خبيثة فانحصرتْ منهُ كثيرًا وتركتهُ وراحت الى دياربكر فراح بعدها وما رضي يخالط المراطقة بل كان يروح يقدس عند الباطرية (١ وعند مار يوسف والمرأة تشرّر عليهِ (٢

وبعد ذلك صار طاعون في ديابكر ومات اولًا القس قرياقوس الذي رسمهُ البطرك مار يوسف في ماردين ومات من بعده مار يوسف وشمامستهُ وقوسهُ حتى لم يبق معهم الّا مطران وحدهُ الذي تخلّف في الكرسي وتسمّى مار يوسف الثالث

امّا ماردين فان المراطقة منذ تشرين الاول صاروا يحكون اصناف الحكايات في السوق ويقولون انّ الامير قد انعزل واكّدوا الامر. فصار هذا الكلام شائعًا في المدينة كلها حتى سمعهُ الامير وسأل عن فاتحي الفال وضاربي الرمل فاخبروهُ عن ابن دروان والشماس عازر والقس يوسف ابن القس الاجوردي فبعث ومسكهم وغرّمهم ثلاثتهم غرامة ثقيلة وجرّس القس يوسف. وبعد ذلك بأيام انعزل الامير. وقبل عزلهِ بعشرين يومًا جمع من اعيان ماردين عشرين واحدًا واخذهم وراح الى دياربكر حتى يشهدوا لهُ قدام قاضيها انهُ ما عمل عليهم ظلمًا. وكان الخواجا اسحق قد مات في تلك السنة

وبعد مدّة جاء الحاكم الجديد الى ماردين ومرّ بدياربكر فابصر فيها اعيان ماردين فاغتاظ منهم وجاء الى ماردين ومسك اهلهم واخوتهم ووضعهم في الدرغ (٣ واخذ منهم غرامة مقدار ثلاثين كيسًا وانمسكتُ انا معهم ايضًا في الآخر وبقيتُ خمسة وعشرين يومًا مع الخواجا نعمه الدوزلي ومع ابراهيم بن طوبال وكانوا كل يوم يهدّدونا في الدرغ ويقولون: انكم من اهل ابن طازباز. وبعدها بثلاثة اشهرٍ انمسك ايضًا ناس

١) نرجّح انهُ يريد الآباء الكبوشيين الذين دخلوا دياربكر في اواسط القرن السابع عشر
٢) تشرّر عليهِ اي تثير عليهِ الشرّ. هنا ينتهي النقص الواقع في نسختنا الاصلية واتممناهُ عن نسخة الخوري ابراهيم حلوجي
٣) لفظة فارسية بمعنى الحصن والقلعة والسجن

من ادهام (١ المراطقة لانهم تعاونوا عليَّ قائلين انهُ قد عمل في بيتهِ مَسيفة (٢ . فبيَّنت كذبهم للامير

وبعد هذا راح الامير الى اسطنبول واخذ الحكم ورجع بكن الحاكم العتيق لم يشأ ان يدخلهُ وصار بينهم منازعات كثيرة لا حاجة ان نكتبها لأنها تدوّخ راس من يسمعها . وبعد المنازعات استولى الامير على المدينة وشنق من امرائها واعيانها نحو عشرين واحداً

وفي تلك الايام وقع في يدي مكتوب من اليعاقبة في حق الامير لو ارتهُ لهُ لكان حرقهم باجمعهم فبعثوا طلبوني ليراضوني وتوسّلوا من المطران احنوخ (٣ ان يرسمني راهباً على دير الزعفران . فهذا المطران كان رجلاً كاثوليكياً شاباً خائفاً من الله فرسمني على نيَّة البيعة المقدسة وقبل ان يرسمني أراني صورة ايمانه يحرم ما تحرمهُ البيعة المقدسة ويؤمن ما تؤمن بهِ . وهو كان طوراني (٤ الاصل . وفي اليوم الذي ارتسمت بهِ شنق الامير ابنَ الحلّ في فرن باب الصور (٥ . وكان هذا الشقي يقول: « اني ارضى بان يكون حبل يوضاس الاسخريوطي في رقبتي ان تركت ابن الكزير يصير قساً » فياعجوبة الله انا ارتسمتُ الصباح وهو انشنق المساء بعد ان سمع خبر رسامتي

والاحد الثاني بعد رسامتي جاءت الجراجكية (٦ باجمعهم ورأوني اقدّس في دير الزعفران منفرداً عن الهراطقة . ففي وقت المساء ارادوا ان يكلموا رئيس الدير لكي يفرد لي مكاناً للقداس بغير الهراطقة فقلت لهم: « انَّ الربيع على قول المثل ما يصير بزهرة واحدة فاتركوني اعمل كما اريد » . فأكلوا وشربوا ويوم الاحد المساء عادوا الى بيوتهم

ويوم الاثنين قمتُ انا وجيتُ الى ماردين وكان لي صديق يسمَّى ابراهيم بن كوَّة وكوَّة اسم امهِ فقلنا لها ان تدخل عند امرأة الامير وتطلب لنا منهُ بيعة مار اليا (٧ التي

---

١) اي الوجوه والذوات ٢) المَسيَفة محل السيوف

٣) لا ذكر لهُ في تاريخ حضرة القس اسحاق ارملة

٤) اي من طور عابدين مقام اليعاقبة في الجبال المجاورة لماردين

٥) احد ابواب ماردين شرقياً من جهة دير الزعفران . في قربهِ فرن مرتفع

٦) يريد الاعيان والذوات من طائفة اليعاقبة ٧) هذه البيعة في لحف جبل ماردين جنوباً

في ضيعة جفتلك (١ وكانت القرية لامرأة الامير فقالت هذه لزوجها فكتب لي دسكرة (تذكرة) ومهرها (ختمها) فجابتها كرّة واعطتني اياها فاخذتُ معي ابراهيم وارسة شماسة وكم واحد من العوامّ وكان وقت الصوم الكبير واخذت معي ابراهيم لانّ اباهُ كان مربيع (٢ الامير واذ كنّا في القرية نظرنا قد جاء القس سعيد بن القس عامو ليقدّس فاريناهُ الدسكرة فرجع الى المدينة وبدأ من الطريق يردّ الزوّار ويقول لهم : لانّ مار اليأ ضبطوهُ الفرنج ـ فبعضهم ارتدّوا والبقية قالوا: نحن نزور القديس (٣

واجتمع في ذلك اليوم مقدار مائتي رجل غير النساء والصبيان فقدّستُ وكرستُ . والاحد الثاني اتيت بجميع اولاد الكاثوليكين وكانوا كلهم يجلسون على ركبهم وكل واحد كتابهُ بيده ويصلّون . ثم اتوا اهل قرية القصور فكانوا ينظرون ويتعجبون وكنّا نخرج من الصلاة ونجلس كلنا جميعًا ونخلطون مأكولهم وشربهم جملةً ويأكلون ويشربون ويجدون اسم يسوع وبقيت انظر الناس يزدادون ازيد وازيد . ولكن لم يكن بيدنا دستور لاستماع الاعتراف فيوم جمعة الاربعين جاءتنا ورقة الدستور من حلب . وكانوا البطاركة اجتمعوا وكتبوا لنا دستورًا قائلين: « على حسب ما شهدوا لنا فيكم واخبرونا عنكم نمنحكم دستورًا وحلولًا مثل ينبوع الحياة من نعمة البيعة المقدسة » فقدّمنا الورقة للقس موسى بن الحصرم (الكلداني) فكشف رأسهُ واعترف اوّل الكل عندنا

ويوم احد الشعانين عرّفت جميع اولاد البيعة من الكاثوليك بدار اليأ وقرّبتهم وكان عيد البشارة في تلك السنة يوم قداس الخميس (اي خميس الاسرار) فعرّفت اكثر الناس في بيوتهم فالذي امكنهُ جاء ليتناول عندنا والبقيّة جبنا لهم القربان للمدينة فتناولوا . ويوم جمعة الآلام والسبت ليلة العيد الكبير رحنا وبتنا في مار اليأ واتوا اهل الضيعة كلّها وناموا عندنا وكنّا مقدار اربعين رجلًا وقدّسنا في الليل . ثم بقينا كل احد وعيد نروح نقدّس في مار اليأ فشاشت (هاجت) الهراطقة واحدوا جدًّا وانعزل منهم شمامسة وشعب كثير واتوا الينا .

وبعد ذلك كتبوا الهراطقة مكتوبًا وارسلوهُ للبطرك في حلب واخبروهُ بجميع

---

١) الجفتلك الارض الخاصة بالسلطان يتولّاها باسمهِ بعض العمّال

٢) اي وكيلهُ وشريك في ربع المحصولات ٣) اي مقام اليأ النبيّ

هذه الاحوال فعرض الحال لاسطنبول واخرج فرماناً في حقي. ففي اليوم الخامس من شهر كانون الثاني ليلة الدنح (الغطاس) وكان يوماً شاتياً ونحن مجتمعون اذ جاءنا ساعٍ من حلب ومعه دَرَجة مكاتيب وفيها صورة الفرمان فجاء الى السوق وسأل المقدسي مرزا ابن قازداغلي عن بيت الامير فدعا الخواجا عبدال وأراهُ الساعي فاخذهُ وراح الى عند الامير فسلَّم لهُ المكاتيب والفرمان. وقرأوا المكاتيب وكان البطرك ارسل مكتوباً لكل ضيعة ولكل رعيث (رعيَّة) وكتب للامير ايضاً وذكر في مكاتيبهِ للرعايا ان يجتمعوا كلهم ويتوسَّلوا من الامير ان يأمر بقتلي وايش ما اراد يعطوه

فلما قرأ الامير هذه المكاتيب ارسلها لاصحابها وشاش (وشاع) الخبر في السوق انهُ قد جاء فرمان في حق القس ايليا من اسطنبول. وكنت ذلك النهار في بيت الشمَّاع فجاء الخواجا ملكون وهو مغبون (حزين) فقلت لهُ: ما لك مغبون هلقدر. فقال: كيف لا انغبن وقد خربتَ بيتنا. فقلت لهُ: لاي سبب. قال: ان البطرك قد اخرج فرماناً في حقك وارسلهُ مع الساعي الى الامير ليأخذ رأسك. فبدأوا كلهم يبكون. وقال لي قوم منهم: اهرب لئلّا يجوا ويجدوك عندنا

فقمتُ واخذت عباءتي على رأسي وما صفّيتُ الّا عند الامير فلاقاني الخاوبش طالعاً من الوصيف فاخبر الامير فدعاني الامير ودخلت اليه فقال لي: من جابك. فقلتُ: ما احد جابني انا جيتُ. قال: لماذا جيت. قلت: ايها الامير سمعت ان في حقي فرماناً وفرمان السلطان على الرأس والعين لاني اعطي للسلطان جزية الراس فان اراد رأسي يكون فداهُ. فضحك الامير. فقلت لهُ: لماذا تضحك. فقال: لو كان فرمان ما كنا نخليك الآن حياً لكن جاء امر لاهل الشرع ان يجتمعوا ويجلوا تباحثك فان كانت تستوجب القتل نقتلك. فقلت: ايها الامير هذا الفرمان ليس هو في حقي بل هو في حقك لانَّ هؤلاء ما يحبُّونك تحكم عليهم وانت اسمك قد ذاع في الدنيا كلها وما كنت تقدر انت تطلع من حقي فتركوك واشتكوا عليّ لاسطنبول. فقال الامير: لا تخف اليوم انا اعملك بطركاً وانمل ابوهم (اباهم) على ابو (ابي) الكلب. فقلت لهُ: انا ما لي طاقة في البطركيَّة. فقال: روح الى كنيستك ون يحدث لك شيء اعلمني

ثم ارسل الامير وجاب وكيل البطرك وقال لهُ: اكتب للبطرك ان يجيء هو ويدعي

(ويقيم دعوى) مع القسيس* . فراح لهم دراهــم كثيرة وكتبوا مكاتيب للبطرك وارسلوها مع الساعي قائلين : قوم تعال بالعجل والّا البطركية قد راحت من يدك لانّ الامير قال لابن الكزير : اريد اعملك بطركاً . وحكوا لهُ ما جرى لهم . فالساعي مرض في الطريق والمكاتيب ما وصلت للبطرك الّا في سبّة السمانين فيوم جمعة الاربعين طلع من حلب وعيّد السمانين في الطريق وكذلك سبّة الآلام والعيــد الكبير . وفي الاحد الجديد وصل الى قزلّي (١ وبعث فتوسّل الى الخواجا عبدال ان يطلب لهُ من الحــاكم دستوراً ليدخــل الى ماردين وبعث للامير ازيد من خمسمائة قرش پيشكاش (٢ فاخذ لهُ دستوراً

وجاء البطرك الى دير الزعفران في الاحد الذي بعــد الاحد الجديد . وفي يوم الاثنين جاء الى الاربعين (٣ والثلثاء الى مار (مرت) اشموني والاربعاء الى مار ميخائيل (٤ . امّا نحن فكنّا لا نزال نذهب الى بيعة مار اليّا . ففي ذلك اليوم رأينا الناس جوقات جوقات نازلين معنا . وكانت افراس الامير ترعى في الچاير (٥ قدّام مار ميخائيل فقال واحد من الخدّام (وكان جاويشاً) للبطرك : لماذا ما يقبل هذا القس يطيعك . قال : ايش اعمل معهُ الامير ظهره والامير ارسلتُ لهُ فرماناً فما عمله . فمضى ذلك الجاويش المساء واخبر الامير . فارســل الامير خلفي مع ابن جومر وكــنت انا في بيت الشماس يلدا الكلداني . فدلوه عليَّ فجاء اليَّ وقال : انّ الامير يريدك روح انت وحدك وانا اروح اجيب البطرك

فرحتُ ودخلت لعند الامير فقال لي الامير : في بالك هو ذاك الكلام الذي قلتهُ لك اليوم الذي بعث البطرك عليك الفرمان . قلتُ لهُ : نعم . فقال : ذاك الكلام تقوله قدّامهُ . واذ نحن هكذا والّا جاء البطرك وجاب معهُ الخواجا ايشوع دلو بالطه (كذا) وابن القس مرزا وابراهيم القوّاق فدخل هو والخواجا ايشوع لقدّام الامير والامير بقي يتشزّر وما يلتفت اليهمــا وهما قائمان في سلامه وانا جالس في جنب الديوانخانه

١) قرية بين ماردين ودياربكر ٢) اي هدية وهي كالبخشيش
٣) اي كنيسة الاربعين شهيداً في ماردين
٤) كنيستان لليعاقبة الواحدة على اسم السبعة المكابيين وامّهم اشموني . والاخرى على اسم مار ميخائيل وكلتاهما خارج المدينة ٥) لفظة تركية بمعنى المرعى والمَسرح للمواشي

مقابل الامير حتى امره ان يطلع الى فوق ويجلس ثم قال لهُ: هـذا هو الراهب الذي اشتكيت عليه وبعثت عليهِ الفرمان؟ فقال: نعم يا امير هذا هو وهو ابني وانا قد رسمتهُ شماساً والآن قد صار قسيساً وانت قد اخترت واعطيتهُ كنيسة مار اليا وانت افندينا انت ايش ما حكمت على الراس والعين. فقال الامير: هل الاب يريد يقتل ابنهُ انك بعثت عليه صورة فرمان وانا اردت ان تجي وتريني الفرمان ايضاً. قال البطرك: الفرمان عندي. فقال: جيبه (جِيْ بِه). فقال: امهلني لغد

وكان معي اخي واقفاً برّا (خارجاً) فقال البطرك: هوذا وكيلك واقف خلهِ يروح يجيب الفرمان. فقال الامير: من هذا. قلتُ: اخي. قال: فاين الوكيل. فجاء. فاخرج مفتاح السبَت(١ من جيبهِ واعطاهُ للوكيل وقال: افتح السبت وفي فم السبت كيس ابيض مختوم جيبه (جِيْ بِه)

فلمّا راح يجيب الكيس قلتُ للبطرك: «يا بطرك انا كلّي انسان حقير انا ايش اكلتُ منك. انت تأكل من باب اسطنبول الى باب بغداد وتسلب مال هلقدر (هذا القدر) ناس وانا بامر الامير اخذت لي هذه البيعة الخربة ومن الاحد للاحد اروح اصلي فيها وانت لاجل هذا تمضي تشتكي عليّ الى السلطنة أما كان هاهنا حكمٌ وشرعٌ لتبين قباحتي وحاكم الوقت يطالع من حقي؟ فقال: الذي صار صار. الله قبيل المفسدين

واذ نحن هكذا جاء الوكيل وجاب الكيس فاخذ الامير الكيس وفتحهُ واخرج منهُ الحجج التي هي من عشرين سنة وجاني مع الفتوات والفرامين وجميع الشرور التي عملها هو والبطرك خاله ثم اخرج الفرمان الذي كان عندهُ صورتهُ فمسك الصورة بيدهِ واعطى الفرمان لكاتبه وامرهُ بقراءتهِ وكلّما يقرأ قليلاً يقول الامير البطرك بتعزيل (بتوبيخ): «من تكون يا بطرك حتى تلعب في فرمان السلطان؟ لانّ الصورة طلعت زوائد على الفرمان في كلام كثير. ثم قال لهُ: في هذا الوقت اريد ارفعك الى القلعة وارسل هذا الفرمان وصورتهُ الى اسطنبول للسلطان حتى تُبصر مَن في مملكتهِ تجاسر وعمل هذا العمل. فقال البطرك: ايها الامير هذا ما هو ذنبي بل هـذا ذنب الكاتب. فقال: ايش كان يعرف الكاتب هذا الكلام

---

١) السَبَت كالسَفَط بمعنى القفّة والصندوق

ثم امر برفع البطرك فوقع الخواجا ايشوع على أقدام الامير قائلاً: ان البطرك رجل كبير السن ومريض فنحن نكفلهُ. فصرفهُ وبقيتُ انا فقال لي: امضِ اقعد في اوضة الكاتب فان لي معك شغلاً. فجابوا العشاء وتعشينا وبعد العشاء دعاني وقال لي: لا تخفْ فغداً اذا ارسلتكم للشرع اندع (تحاجج) مثل ما يعجبك. وكنت قلتُ للامير أنّا سألني ايش بينكما فاخبرتهُ بالقضيّة: انّ هؤلاء (اليعاقبة) يقولون انّ الله الواحد بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات ثم يقولون انّ برصوم ما قام آخر شبههُ لا في الاوليا. ولا في الانبياء. ويصلّون لهُ قائلين: ربّنا ترحّم علينا وربّنا تحنن علينا وربّنا اقبل صلاواتنا وطلباتنا. ويقولون: «ربّنا برصوم» عشرين مرّة. وغير هذا الذي اخبرتُ عنهم الامير. فقال لي الامير: ان ثبتت واحدة من هذه فقط حلّ فيهم السيف. فقلتُ لهُ: لاجل هذا يا امير انا انعزلت من بينهم. والامير كان يعرف كل هذه الامور

ففي صباح تلك الليلة قبل انشقاق الفجر جاؤوا الى عنده وتوسّلوا اليهِ واعطوهُ سبعمائة قرش فاخذ الدراهم وعند الصباح راح الى البستان. واذ كان في البستان جاء اليهِ القنبودي مطران القدس واخو البطرك المغريان متي ودفعا لهُ خمسة اكياس دراهم ليقتلاني. فلمّا جاء الامير من البستان اخبر الى عيسى بك بذلك وقال: وذّ القس الى اوضتك وقيّدهُ. فودّاني وضرب القيد في رجلي وحكى لي بالقضية وسمعتْ الخواجكية ايضاً

وفي ذلك اليوم راح البطرك اسحيقه للدير (اي دير الزعفران) وجمع كل المطارين والرهبان ومُريديهِ (اصحابهُ) ناساً اغنياء من الشعب رجالاً ونساء وتشاوروا على قتلي فكان بينهم امرأة عوراء بعين واحدة يقال لها امرأة حَبَل الزنى. فهذه في تلك الساعة اعطت ثلاثمائة قرش لاسحيقه ثمن قتلي واغاروا المطارين ايضاً وكل واحد منهم قرّر قرذ شي (اي مبلغاً معلوماً) وكتبهُ عليهِ فكتبوا تمسّكاً (اي قراراً) وختموهُ كلهم باربعة عشر كيساً وكان التمسّك مكتوباً بالعربي وارسلوهُ للامير قائلين: «قد اخذتَ منّا الذي اخذت فهو حلال عليك وقد (قرّر) الآن المطارين لك خمسة اكياس وهذا تمسّك اربعة عشر كيساً ثمن دم ابن الكرّيز فدمهُ في رقبتنا قدّام الله وان كان اخوتهُ اشتكوا الى السلطان فجواب السلطان علينا». وارسلوا التمسّك الى حَرَم الامير مع امرأة طورانيّة في بقجة قماش تساوي مائتي قرش

فلمّا فرّقت الخواتين الاقمشة بينهم (بينهنّ) وجدوا (وجدنَ) التمسّك فيها فاعطوهُ (فاعطينَهُ) للامير. فلمّا قرأهُ الامير تعجّب من قساوة قلوب هؤلاء. وارسل فدعا ثلاثة من الخواجكية الخواجا عبد المسيح ابن الخواجا اصلان والمقدسي عبد الاحد ابن القس عوديش (عبد يشوع) والخواجا عبدال وقرأ التمسّك قدّامهم فالواحد منهم قال: خذ الدراهم واقتلهُ. والآخر قال: انت تعرف أيها الامير ان تجيب حمل قطن فاندفهُ ولفّ هذا القس ايليا فيهِ وخيّطهِ وكلما تحتاز (تحتاج) لدراهم أظهرهُ. فضحك الامير فجاء عيسى بك وحكى لي كل شيء

وعند العشاء دعاني الامير وأراني التمسّك وقال: ايش تقول. فقلتُ: العصا في يدك. لو كان هؤلاء قدروا ان يقتلوني كان ,كلّ (١ قتلوني من زمان انا دمي اطلبهُ منك يومَ الله اليوم العظيم لأنهُ ما لي شر على احد. فقال لي: يا راهب انت كيف تعرف فعلّمني حيلة لآكل هذه الدراهم من هؤلاء القوم. فقلتُ لهُ: غداً من الصباح حطّني في الزنجير وأرسل قُل لهم «جيبوا الدراهم حتى اقتلهُ» وثمّا تكمل الدراهم قُل لهم: «امضوا سجّلوا عليهِ قباحة لاقتلهُ وأوص انت القاضي حتى يسمع دعواي فأندعي انا عليهم بذلك الكفر الذين يكفرون». فضحك الامير وقال: الله ينصرك عليهم

وفي الصباح ادخلني الى الزنجير وحطّ في رقبتي طوقين. فجاء اهل قلعة مرا واحصروني هم والداشية ومضوا فاخبروا السجيّة. امّا الامير فبعث طلب الدراهم ليتلوها (ليدفعوها) لهُ. فاعتذروا قائلين: انّنا قد بعثنا بتديّن دراهم من ديار بكر

وما مرّ علينا سبعة أيام والّا اهل الصراي قد شاشوا (هاجوا) فسألنا: ما هو الخبر. قالوا: انّ متسلّماً جديداً جاء من حلب وقد اعطى السلطان ماردين لطوبال يوسف باشا امير الحاج وهو جاني الى هذا البلد. فلمّا وصل المتسلّم ارسل وطلب الزنجير فاخرجني الامير من الزنجير وارسل بقيّة من كان فيهِ من الاكراد وغيرهم للمتسلّم.

ثاني يوم صباحاً جاء اليعاقبة وجابوا معهم الخواجا اصلان ابن عيساجان الكلداني وطلبوا الدراهم والاقمشة التي كانوا اعطوهُ ايّاها سابقاً من اجلي فما قدر الامير ان يرفضها فاعطاهم كل شيء طلبوا واغتاظ منهم غيظاً عظيماً وبعث وراني وقال لي:

١) لفظة «كل» من زيادات لغة ماردين يزيدونها على الافعال فيقولون: «كلّ اكلتُ» اي اكلتُ

اريد آخذك معي الى اسطنبول واريد من الله ان يعطيني حكم ماردين ثاني نقلة (دفعة) حتى اصلب من هؤلاء الكفرة عشرين واحداً حتى تتعجّب الخلق يقولوا: كيف مثل هؤلاء ينصلبون. ثم شجّعني وقال لي: لا تخف. وبقيت ذلك اليوم ايضاً في اوضة عيسى بك. وتلك الليلة بعثوا البعض من الخواجكية وقالوا لي: ان كنت تقدر تهرب اهرب. وجاء اليّ اخي وبات عندي واراد ان يهرّبني فما رضيت بذلك وقلت: انا متوكل على سيّدي يسوع المسيح وعلى مريم العذراء وعناية السيدة المقدسة

وفي ذلك النهار عند المساء وكانت ليلة عيد السيدة نصف ايار (لعلّهُ يريد نصف آب) تركوا اليعاقبة صلاتهم واجتمعوا جمهوراً كبيراً بينهم كهنات القصور والمنصوريّة وبنيبيل وقلعة مرا والشعب ايضاً من ثلاث مراعيث وجاؤوا فاشتكوا عند المتسلّم على الامير وقالوا: لنا عندهُ راهب ممسوك ولنا معهُ دعوى كبيرة فهو قد سلّم لك المسوكين ولم يسلّم ممسوكنا

فارسل المتسلّم للامير اثنين من الآغاوات فاخبروا الامير وطلباني منهُ. فجاء عيسى بك وقال لي: قوم والبس قبّاعتك ولفّتك وصوفك لانّ جماعتك اشتكوا الى المتسلّم وبعث يطلبك من الامير. فقمت معهُ وحضرت قدّام الامير فقال الامير للاغاوات: هذا الراهب. فمسكني كلاهما كل واحد من كتف وانزلاني في الرصيف. وكان الخلق قد خرجوا يتفرّجون مسلمين ونصارى وبقيت ممسوكاً بينهم حتى وصّلوني الى قدّام المتسلّم. فقال لهم بالتركي: هذا هو الراهب؟ قالوا: نعم. فقال: ارفعوهُ للزنجير. فأحاطوا بي الجند واخذوني ووضعوني في رأس الزنجير

وفي تلك الليلة راح من اليعاقبة ناس لعند البكباش واعطوهُ خمسين قرشاً قائلين: أعطهِ جزاءً ليموت في الزنجير. فوقت العشاء اخرجني من الزنجير وكان قد نقع كنديراً (حبلاً) وشلّحني بالزلط الى النصف وربطني في الكندير وجاب مزواراً ومزوّر (١ الكندير حتى غبتُ عن وجدي (اي عن حواسي) وتركني مشوار. وبعد ذلك لمّا قاربت الموت قطع الكندير بالخنجر وقلب (كبّ) عليَّ جرّة ماء. فبدأ جسدي ينمل ففتقتُ وفتحت عيني فبدأ يضربني بالقرباج ويقول لي: «افرنجي افرنجي» ويضرب. وكان هناك احد صريدار(٢

١) المزوار آلة تلوى بها الحبال

٢) الصريدار تصحيف السرايدار اي وكيل السراي

رجل شاب من طائفة الارمن اسمهُ مراد ابن ازاد فبدأ يبكي عليَّ ويلعن قساوة اليماقبة وبقوا يعاقبونني الى نصف الليل ثم طرحوني في الزنجير لا ميّت ولا حيّ

ثم عند الصباح جاء اليَّ اخي وابصرني في تلك الحالة فسألني: هل تحصيل الملكوت هو هين فان كنتَ لا تقدر تصبر على هذا العذاب فكيف تقدر تصبر على عذاب المطهر؟ واعلمني ان انبارحا (اي الليلة البارحة) راح الخواجا توجان ابن الخواجا اسحق والخواجا اصلان ابن عيساجان واتا معهما الى القاضي واقرأا (تقدّا) له ثمانين قرشًا ابا كلب ووضعا عنده زوجين الخصور (اي اسوار) وكَمَرين وزنجيرًا وتوسّلوا منهُ ان لا يعطي في حقك حجّة القتل. فهو حلف لهما بالطلاق انهُ لا يعطيها ولو دفعوا لهُ اليماقبة الف قرش

فمضى اخي من عندي وراح فحكى للخواجكية ما صنع بي البكباشي وكذلك الصريدار المذكور راح فاخبرهم فراح احدهم الى عند الامير واخبرهُ بالقضيّة فركب الامير وجاء الى عند المتسلم وقال لهُ: «انا كنت خلّيت هذا الراهب عندي لحين ما يجي يوسف باشا حتى اجرّهُ له بيشكاش لانَّ اعداءهُ قد اعطوني عشرين كيسًا حتى اقتلهُ وانبارحا (امس) كان يريد البكباشي ان يقتلهُ ويروّح العشرين كيسًا». فبعث المتسلّم وصاح (دعا) البكباش وقال لهُ: لماذا عملت هكذا انا قلت لك حطّهُ في الزنجير فهل قلت لك عاقبهُ. فقال: انَّ اعداءهُ جاؤوا وبرطلوني كي اعاقبهُ. ثم نزل اليَّ رجل يقال لهُ يوسف اغا وسلّاني واخرجني من الزنجير وضربني في القيد وبسط لي حصيرًا باشقا (منفردًا)

فثاني يوم من الصباح قالوا انَّ الحاكم خليل آغا قد جاء وعملوا لهُ هلاي (حفلة كبيرة). والا وصل ما رضي ان يجي ينزل في بيت يعقوب باشا فنزّلوهُ في السراي العتيق. فوضعني الاودباشي في الزنجير وحمّلني بقيّة الزنجير. وكان قد اخذ عشرة احمال حشيش فحمّلها المحبوسين وحمّلني ايضًا فوق الزنجير اربع فتّل حشيش. واذ نحن جاؤون فوق سطوح الصانئين لاقاني القاضي وسأل قائلًا: هذا هو الراهب. وكذلك المفتي والاعيان وكان صباح الاحد في زمن الصيف وكانت المدينة كلها قد اتت الى الفرجة مسلمين ونصارى رجالًا ونساء (التتمّة لعدد الآتي)

ملحوظات على مثلّث قطرب

لجناب الصيدلي مراد افندي بارودي

بعود حضرتكم في المشرق لشهرنا الحاضر (صفحة ٦٨٥) الى الكلام عن المثلث المنسوب لقطرب وايرادكم شرحين من اقدم الشروح وقد وجدتموهما في مكتبة برلين وهما منسوبان الى عبد العزيز الديريني المصري المتوفى سنة ٦٩٤ للهجرة الى آخر ما جاء في التوطئة على المثلّث المذكور ارجوكم ان تفسحوا لي مجالاً في مشرقكم الزاهر فآتي على ذكر ما استفدته في هذا الموضوع بناء على توفيقي مؤخرًا الى امتلاك نسخة من هذا المثلث كُتب على ظهر ورقتها الاولى العنوان الآتي «كتاب المثلث تاليف ابي الحسن علي ابن احمد البصري المعروف بقطرب رحمة الله عليه وهو تسعة وعشرون نوعاً» وفي الصفحة الاولى بعد البسملة «هذا كتاب ألّفهُ قطرب بن احمد البصري واسمهُ علي ابن احمد رحمة الله عليه. يقال لهُ المثلث وهو حرف تراهُ في الكتاب على صورة واحدة ويتصرَّف على ثلاثة معانٍ». وتاريخ هذه النسخة كما هو مسطور في اخرها في شعبان سنة ٥٧٣ وهي بالقطع الربعي نوع الخط فيها يقارب النسخي ويجمعها ونسخة من فصيح ثعلب جلد واحد وهما لناسخ واحد وقد جاء في اخر هذه الثانية ما نصُّه: «نجز كتاب الفصيح لابي العباس ثعلب رحمة الله بمشيّة الله وعونه وذلك في العشر الاوسط من جمادى الاول من سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة بمدينة قوص»

بناء على ما يفهم من النص اعلاهُ ينجلي لنا أربع حقائق: (الاولى) ان اسم قطرب صاحب المثلث المشهور علي ابن احمد البصري وكنيته ابو الحسن خلافاً لرواية ابن خلكان الوارد فيها لقطرب ثلاثة اسماء يرجح فيها ان اسمه محمد وكنيته ابو علي وتابعه الكتبة من بعده على هذا السهو .

(الثانية) ان قطرباً المذكور قد شرح مثلثه نثرًا وليس نظماً كما ستراهُ في الانموذج الذي نلحقهُ بهذه المقالة. فاستنادًا على ذلك ان المنظومة التي اولها «يا مولعاً بالغضب» ويزعم الفريق الاعظم من الادباء الاقدمين والمتاخرين انها لقطرب نفسه ليست هي بالحقيقة لهُ بل لرجل آخر. واما ما ارتآهُ حضرة الاديب الفاضل سعادة احمد باشا تيمور

المصري في الصفحة ٩٥٨ من المجلد الحادي عشر للمشرق يقارن السداد اذ جاء مطابقًا لما تشهد لنا به نسختنا المذكورة وقد قال وفقه الله في ختام كلامه عن ذلك وعقيب استشهاده بهذين البيتين :

« لما رأيتُ دَلَّه . وهجرهُ وبطله . نظمت في وصفي لهُ . مثلثًا لقطربِ »

وهي دلالة صريحة على ان الناظم غير قطرب

(الثالث) ان المادات التي وضعها قطرب لمثلثه تسعة وعشرون مادة وهي كما رتَّبها قطرب نفسهُ نقلًا عن نسختنا مفتوحة الفاء فمكسورتها فمضومتها :

الغمر . السلام . الكلام . الحلم . الحجر . الدعوة . السبت . الحرَّة . السهام . الشرب . الحرق . الشكل . الرقاق . الطلا . الصرَّة . الملا . اللَّحا . السقط . الأمَّة . القسط . القسَّة . الجدّ . العرف . الكلا . الجوار . المسك . الحمام . اللمَّة . الصلّ

وقد جاءت المادات المشروحة في المنظومة الثانية المنسوبة لابن الديريني كما نوهتم حضرتكم في المشرق اخذًا عن مكتبة برلين والتي اولها : « اذا عاينت سبل الحبّ غمرا » مطابقة لنسختنا في عدد المادات ومخالفة بعض الخلاف في ترتيبها عكسًا للمنظومة الثانية التي تنقلون حضرتكم انها شرح على منظومة قطرب للشاعر نفسهِ اعني ابن الديريني فان عدد المثلثات فيها اربعة وثلاثون مثلثًا » ينقصها ثلاثة الفاظ « الهجر والسقط والصلّ » . وتزيد ثمانية اذا اعتبرنا الساقط وهي : « رشا . عَمَر . الزجاج . اللقا . المنة . الظِّلم . القرى . القطر »

(الرابعة) كل من يعارض الشروح المديدة المنظومة بشرح قطرب المنثور يرى في بعض شروح المواد غلطًا غير مغتفر ولا قابل للتأويل . ولناخذ مثالًا لذلك مادتين ولنكررها ايضًا الانموذج الذي وعدنا به في الخاتمة الثانية من هذه المقالة : المثال الأول « الدعوة »

قال قطرب : ومنهُ الدَّعوة والدِّعوة والدُّعوة . فامَّا الدعوة فالرجل يدعوك ويناديك . قال عنترة العبسي :

دعاني دعوة والخيل تَرْدي فما ادري أَبِسمي ام كنَاني

فامَّا الدعوة فالرجل يدَّعي الى قوم ليس منهم . قال الشاعر :

ترعم لي انك من باهلهْ تلك لعمري دعوة خاملهْ

فامَّا الدُّعوة فهو الدُّعاء في الحرب قال الشاعر :

ودُعوة اقوام تَخلّفتُ جيمهم بجبل ورجل والمُنيدةُ تُنحر

مُنيدة هي المائة من الابل

(وهذه الاخيرة لم نجدها بهذا المعنى لا في المحيط ولا في التاج)

وهاك شرح ابن الديريني المار ذكرهُ لهذه المادَّة في منظومتهِ :

دعا داعي سلوّي الف دَعوة (الندا) وما دمواهُ عندي غير دِعوه (الادعا)

وقدعدتُ بذاك الروح دُعوة (وليمة) رضى لبشري بالوصــل نذرا

المثال الثاني « الحجر »

قال قطرب – وثمَّ الحَجْر والحِجر والحُجر – فاما الحَجر فهو مقدّم القميص . قال ابو التاهية :

ذكرتك والمشجون ذاكرُ شجوهِ فما زلتُ اذري الدمع حتى امتلى حَجري

واما الحِجر فهو العقل قال الله عزَّ وجلّ . هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجر . معناهُ والله اعلم لذي عقل قال الاخطل :

أَلِكني الى آل المُجَيم رسالة كان ذا راي وذا حِجر (كذا)

(ولم نجد هذا البيت في نسخة ديوان الاخطل المطبوعة بعناية حضرة الاب صالحاني سنة ١٨٩١ ولا نعلم اذا كانت واردة في الملحق الذي طبعهُ حديثًا) . واما حُجر فهو اسم رجل . الخ

وهذا شرح ابن الديريني :

ملكت القلب فاحكم دون حَجر (المنع) ومام بكاس حبّك كل حِجر (مثل)

ولو ملك الهوى قلب ابن حُجر (شاعر) لما انشا بجزل القول شعرا

هذا ما توفَّر لنا اثباته استنادًا على النسخة الخطيَّة الموجودة لدينا من مثلث قطرب التي لا يُجارى فيها اذا اتُخذت حجَّة على ما تتضمَّنه من الحقائق المناقضة لما هو عليه جمهور الباحثين في هذا الموضوع حتى اليوم الحاضر . ومن الواجب ان تبقى كذلك الى ان ياتينا الزمان المستقبل بما ينقضها

وفي الختام نستاذنُ حضرتكم استدراكًا على مـا نقلتموهُ بشان المنظومتين المثبتتين في العدد المذكور من المشرق شرحاً لمثلثات قطرب . فكيف يصح اعتبارهما لشاعر واحد (وقد ذُكر انهُ ابن الديريني) وهناك سببان كبيران يتنازعان صحة هذه النسبة الاولى وقد اشرنا اليهِ وهو عدم اتفاق الشرحين في عدد المثلثات اذا كان في

احدها اربعة وثلاثون وفي الآخر تسعة وعشرون فضلًا عن سقوط ثلاثة الفاظ في الاول وهي من اركان مثلث قطرب (الحَجْر والسَّقط والصَّل) كما بيناه في محله . والثاني عدم مطابقة الشرحين في تفسير بعض الالفاظ من المثلث . مثال ذلك ورد في المنظومة الاولى شرحًا للقِمَّة :

وكنسُ بيت قُمَّة . وراسُ طود قِمَّة   بكرها والقُمَّة   مزبلة لقشب

وفي الثانية :

وكم سُلبت من الضرغام قِمَّة (الفريسة)   ونلت بالزمام كل قِمَّة (راس جبل)
اذا رضي الجار بجل قُمَّة (كناسة)   فكن رجلًا شريف العز حرًا

فانظر انه في الاول فسَّر القَمَّة بالفتح كناسة البيت وفسَّرها في الثاني الفريسة . والاصح ما ياخذه الاسد بفيه كما في نسختنا الخطّية المذكورة . فيكون من الثابت فقط ان المنظومة الاولى هي لابن الديريني والدليل على ذلك صريح في ذيل المنظومة المذكورة اذ يصرح فيه انه هو ناظمها — والله اعلم بالصواب (١

(حاشية) بعد ان كتبت المقالة المتعلقة « بمثلث قطرب » عثرت على شرح جزء من فهرس مكتبة الاسكوريال الشهيرة لصاحبه المستشرق الفاضل هرتويك ديرنبرج المطبوع بباريس سنة ١٩٠٣ باللغة الفرنسوية وقد ورد فيه ما مفاده ان القسم الثاني من المجموعة التي عددها ٧١٨ هو المنظومة الشهيرة اعني بها « يا مولعًا بالغضب والهجر والتجنب » وانها بالنص الصريح للشيخ سديد الدين ابي المحاسن (بن) مهلب الدين حسن البهنسي حيث يقول هو نفسه « نظمت مثلث قطرب في قصيدة اباتها اثنان وثلاثون بيتًا على حروف المعجم » . فبالحالة هذه قد جاء كلام الشيخ المذكور حجة قاطعة على ان نسبة المنظومة المذكورة الى قطرب هي رواية عارية عن الصحة وقد تناقلتها الالسنة والصحائف بدون تثبت ولا تدقيق . ويستدرك على الناظم الشيخ سديد الدين جمله الفاظ المثلث القطربي اثنتين وثلاثين لفظة وقد صرح الاسناد الى قطرب نفسه انها تسع وعشرون فقط كما ذكرناها بباطن مقالتنا

---

١) جوابنا على جناب المعترض ان اسم ابن الديريني وارد بنوع صريح في نسختي برلين التين اخذنا عنهما في ختام القصيدة الاولى وفي صدر الثانية (اطلب قائمة مخطوطات برلين ج ٦ ص ٣٠٦ و٣٠٧ في العددين ٧٠٧٨ و ٧٠٨١) ولعل الشروح في الثانية زادها على ابيات ابن الديريني كاتب غيره فحصل بذلك الاختلاف   ل . ش

ملحق لحضرة الاب انطون صالحاني

ليسمح لنا جناب الصيدلي المدقق مراد افندي بارودي ان نبدي بعض الملاحظات بخصوص اسم وكنية صاحب مثلثات قطرب فان التنقيب عن هذه المادة وان يسيرة وغير ذات بال قد لا يخلو من الفائدة

اورد صاحب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء (في الصفحتين ١١٩و١٢٠) ترجمة قطرب فقال "واما ابو علي محمّد بن المستنير البصري المعروف بقطرب فانهُ كان احد العلماء باللغة والنحو اخذ النحو عن سيبويهِ وعن جماعة من علماء البصرة وسمي قطربًا لانَّ سيبويه كان يخرج فيراهُ بالاسحار على بابهِ فيقول: انما انت قطرب ليل. والقطرب دويّبَة تدبّ ولا تفتر... ولهُ من التصانيف... كتاب المثلث... وتوفي سنة ست ومائتين في خلافة المامون» (٨٢١—٨٢٢ مسيحية)

وقال السيوطي في تاليفهِ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ص١٠٤): «محمد بن المستنير ابو علي النحوي المعروف بقطرب»

وجاء في اللسان (٢: ١٧٧): «وقطرب لقب محمّد بن المستنير النحوي»

وقال ابن خلكان (طبعة اوربة ٦٩٣): «يقول ابو علي محمّد بن المستنير بن احمد النحوي اللغوي البصري المعروف بقطرب... ويقال انَّ اسمهُ احمد بن محمّد وقيل الحسن بن محمد والاوَّل اصحّ والله اعلم بالصواب»

وفي كشف الظنون ورد ذكره خمس عشرة مرَّة (طبعة اوربة ١: ٣٤٢ و٣: ٣٥٥ و٤: ٢٤٦ و٣٢٠ و٣٢٤ و٥: ٣٩ و٤٣ و٤٤ و١٠٧ و١٣٢ و١٣٨ و١٧٢ و ٣٧٤ و٦١٨ و٦: ٣٨٨) وفي كل هذه المواضع ورد تعريفه هكذا «ابو علي محمّد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي المتوفى سنة ٢٠٦» الّا انهُ في الصفحة ٣٨٨ من الجزء السادس سماه محمّدًا المستنير لا « ابن المستنير » وفي رأينا ان الكلمة «ابن» في هذا الموضع سقطت سهوًا من النص

ولا بأس ان نورد ما جاء في كشف الظنون (٤: ٣٢٠) فانهُ يطلعنا على كثير من المثلثات . قال:

« الغرر المثلثة والدُّرر المُبَثَّثة للشيخ الامام مجد الدين ابي طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ . . . ذكر فيه انهُ جمع جميع ما في كتب المثلثة كقطرب والقزّاز والبطليوسي وابن مالك وابن عبد الله الحنبلي وابراهيم بن زهر البصري وكتاب الباهر لابن عديس وذكر انهُ كان قد وضع على قسمين الاوَّل في المثلث المتفق المعاني والثاني في المختلف المعاني فجاء القسمان في خمس مجلَّدات ثم افرد القسم الاوَّل في هذا التاليف على ترتيب الحروف

وقال في الصفحة ٣٧٣ و ٣٧٤ من الجزء الخامس :

« مثلَّث في اللغة . اول من وضع فيهِ ابو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحويّ المتوفى سنة ٢٠٦ وهي اثنان وثلاثون بيتًا اولها «يا مولعًا بالغضب» شرحهُ سديد الدين ابو القاسم عبد الوهاب بن الحسين الورّاق بمدينة جنبية توفي سنة ٦٨٠ والشيخ ابراهيم اللخمي وابن زهير والقزاز ابو عبد الله محمَّد بن جعفر القيرواني النحوي المتوفى سنة ٤١٢ وابن عُديس — مثلَّث لجمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ وابي محمد عبد الله بن محمد البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٥٢١ وعزّ الدين محمد بن ابي بكر ابن جماعة توفي سنة ٨١٩ وابي حفص عمر بن محمَّد القضاعي المتوفى في حدود سنة ٥٧٠ في عشرة اجزاء . وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ وهو كبير في خمس مجلَّدات وصغير في خمسة اجزاء اولهُ : اشرف ما نطق بهِ المصدع المحدث الخ . رتّب على الحروف »

فينتج من كل ما اوردناهُ ان اسم صاحب مثلَّث قطرب هو محمد لا احمد وان كنيته ابو علي لا ابو الحسن وانهُ ابن المستنير او ابن احمد المستنير فيكون المستنير لقب ابيه احمد

ولا يُضعف ادلَّتنا كون نسخة مراد افندي بارودي هي قديمة العهد ترتقي الى سنة ٥٧٣ فان نسبة الغلط الى كاتب فرد اهون من نسبته الى علماء كثيرين اطلعوا على تصانيف مختلفة لقطرب تنيف على ١٧ كتابًا وعرفوهُ وتحققوا منها اسمهُ وكنيته فلا يصدَّق انهم كلهم غلطوا في ذلك

امَّا ما لاحظهُ جناب مراد افندي البارودي بخصوص بيت الشعر المنسوب للاخطل فنوافقه في انهُ لم يرد لا في الديوان ولا في الابيات التي وقفنا عليها منسوبة للاخطل فجمعناها في ذيل الديوان ولا في الملحق الذي عُنينا بطبعه هذه السنة ولا في النسختين البغداديَّة واليمنية ولا في نسخة نقائض جرير والاخطل المحفوظة في المكتبة العموميَّة بالاستانة . وهذا لا ينفي كون البيت للاخطل . الَّا اننا لم نجد فيهِ ملامح من شعر الاخطل . ولا يخفى انهُ يوجد شعراء يُلقَّبون بالاخطل غير الاخطل المشهور . فقد عدَّ

الآمدي في المؤتلف والمختلف مَن لُقّب الاخطل اربعة احدهم التغلبي النصراني والثاني الاخطل الضبعي كان شاعرًا وادّعى النبوّة فاخذهُ ابن هبيرة في دولة الامويين فأمر بهِ فضُربت عنقه . والثالث الاخطل المجاشعي وهو الاخطل بن غالب اخو الفرزدق وكان شاعرًا وانمّا كسفه الفرزدق فذهب شعرهُ . والرابع الاخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب (راجع الصفحة ٢٢١ من الجزء الاوّل من خزانة الادب والاغاني ١٢ : ١٥٦) والقاموس والتاج في مادة خطل) . فمن المحتمل ان يكون البيت لاخطل غير الاخطل التغلبي

ميمر

لاسحق النينوي في اكرام الصليب

معرَّب بقلم الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

في كتاب اسحق النينوي الذي نشرهُ حديثًا حضرة الاب بيجان العازاري المحترم ووصفهُ في المشرق الاغر (ص ٢١٥) القس اسحق ارملة السرياني ميمر نفيس في اكرام الصليب المقدس رأينا ان نترجمه لقرَّاء المشرق بمناسبة عيد هذه الراية الخلاصيَّة وذلك اوَّلًا ليكون أُنموذجًا لانشاء المؤلف وتضلّعهِ في اللاهوت . وثانيًا لنكمل بهِ ما كنّا كتبناهُ في المشرق يومًا عن اكرام الصليب والصور عند النساطرة (١ قال :

*

باي معنى نبجّل الصليب وماذا تشخّص لنا صورتهُ المباركة التي نخصّها باكرام عظيم

١) مما يستحق الذكر في هذا المعنى انهُ كان لا بدَّ من وجود الصليب في قلّاية كل من رهبان النساطرة القدماء . قال اسحق النينوي لاحد الرهبان : انهُ اذا باشر اسابيع الاختلاء والسكوت لا يخرج من قلايتهِ البتَّة ولا لتناول القربان الاقدس في ايام الاحد حتى نهاية الرياضة بل يعوض عن ذلك بالتأملات وقراءة الكتب الروحية اذ يقرأها وهو جالس امام الصليب بخشوع (وجه ٦٢٦) . ونستدلّ على وجود الصور في قلايات الرهبان بما جاء في ميمر سبريشوع من بيت قوقا وتلاميذه الذي نشرهُ الاب الفونس منكانا (طالع كتابهُ Sources Syriaques وجه ٢٦٣) اذ يقول عن ماران عمّهْ : ان الرب كلمه فمًا بفم من الصورة التي كانت في قلايته . وعاش هذا في الجيل السابع

وعبة وانعطاف ونسجد لها بلا ملل وقلبنا مفعم لذّةً ذلك امرٌ يعرفهُ العالم اجمع ويترنم بتاريخهِ. ولكن كيف تحلُّ فيهِ قوَّة الله ؟ انَّما تحلُّ سرّيًا على نسق عادتهِ تعالى اذ يظهر قدرتهُ العجيبة في كل جيل وفي كل زمان فيضع اسمه العزيز على موادّ هيوليَّة ويجترح بها عجائب وآيات للعالم ويمنح بها معوناتهِ للبشر. فهذا ما قصدنا ان نبيّنهُ الآن. غايتنا اذن ان نتكلَّم بكلام بسيط مبرهنين عن القوَّة المجيدة والازلية الكائنة في الصليب ليُعرف بان الله هو الذي يعمل كل شيءٍ في كل شيءٍ بالماضيات والاخيرات الى الابد

ان القوَّة الموجودة في الصليب هي عين القوَّة التي أبدعت العالمين. القوَّة الازلية العديمة الابتداء المدبّرة للخليقة في كل زمان دون انقطاع بنوع الهي يفوق ادراك الكل كشيئة لاهوتهِ. ما معنى ذلك ؟ ان قوَّة الله الغير المحدودة تحلُّ في الصليب كما كانت حالَّة بنوع لا يُدرك في قبة العهد التي كان يجلّها شعب اليهود ويسجد لها بالخوف والهلع وبها ايضاً كان الله تعالى يصنع آياتٍ وعجائب رهيبة بينهم حتى انهم لم يمسكوا عن ان يدعوها الاهًا وينظروا اليها برغبة كنظرهم الى الله نفسه جلَّ اسمهُ العزيز الذي حلَّ عليها. على انها لم تكن مكرَّمة بهذا الاسم لدى اليهود فقط بل من اعداء هؤلاء ايضاً اعني الامم الغريبة كما جاء في الكتاب المقدَّس: « الويل لنا فان اله اليهود قد جاء اليوم الى معسكرنا » (١ سفر الملوك ٤: ٧). فهذه القوَّة التي كانت حالَّة في تلك القبة نؤمن انها كائنة في رمز الصليب هذا الذي نكرمهُ بناء على ما نعلمهُ من اسرار الله. وماذا كان يوجد في تلك القبة حتى صارت هكذا مخوفة ومملوءة آيات ومعجزات ؟ لم يوجد فيها سوى اناء المنّ ولوحي الشريعة اللذين كتبهما موسى وعصا هارون الذي أفرع. ومع ذلك كان موسى والشعب يسجدون امام القبة بورع ورعبة عظيمة. وكذلك يشوع بن نون مكث من الصباح حتى المساء خارًّا على وجهه امامها. فلمَ كل ذلك أليس لان آيات الله المخوفة ظهرت فيها ثم لانَّ الله كان ساكنًا فيها ؟ عليك اذن ان تعلم ان القوَّة الحالَّة الآن في الصليب قد انتقلت من هناك وسكنت في الصليب سرّيًا

واعلم ان المعجزات التي تجري في الصليب ليست باقلّ مما كان يحدث في قبة العهد بل اكثر. أليس ان ما كُتب في سفر اعمال الرسل هو اعظم من معجزات قبة العهد ؟ فالذي لا يقبل هذه لا يؤمن بتلك ايضاً. كثيرون بقوَّة الصليب طردوا الحيوانات

وانتصروا على النار ومشوا على البحر واقاموا الموتى وابطلوا الطاعون واخرجوا المياه من الاراضي اليابسة القحلة ووضعوا حدودًا للبحار وامروا مجاري المياه والانهار العظيمة فرجعت الى الوراء. ولكن ما بالي اذكر هذا ها ان ابليس مع شراسته يرتعب من اشارة الصليب عندما ترسمها ضده. بل اسمع الآن ما هو اعظم من ذلك كله لن الذين كانوا في خدمة قبة العهد رغمًا عن كل المعجزات التي حدثت امامهم لم يقدروا ان يستأصلوا اصلًا واحدًا من جذور الخطيئة مهما كان صغيرًا. اما في خدمة الصليب فقد اضحت الخطيئة كخيط العنكبوت اذا عُلّق فيه شيء ثقيل فلا يبقى لهُ قوام والموت الذي كان مهولًا على الطبيعة ترى النساء والاطفال انفسهم يهزأون بهِ. نعم ذاك الحكم المحتوم بهِ على الجميع قد هان اليوم ليس فقط على ابناء الايمان بل على الحنفاء ايضاً وضعف هولهُ عمَّا كان عليهِ من قديم بنعمة الصليب

فالسجود لمن غيّر الحكم علينا بالمصالحة التي توسّط بها من اجلنا. مبارك الذي من اجل الحبّ الازلي الذي بهِ احبَّ الخليقة ارتضى ان يظهر ذاك الحب علنًا في هذا الزمان فاتخذ لخلاصنا خشبًا اكرم من ذاك الخشب الذي سمّي مسكن الله. وكان موسى والشعب يقدّمون لله في ذاك المسكن سجودًا ودعوةً على الدوام. وان قيل انَّ الله في التوراة اوصى الشعب بواسطة موسى ان لا يسجدوا لعمل ايدي البشر ولايِّ صنمٍ وتمثال فكيف سجدوا للقبَّة وهي صُنع ايدي النجَّار كما انَّ لوحي الوصايا نُقرا بيد موسى في الجبل وكُتبا باصبعهِ . اجبنا انَّ الفرق بين هذه والاوثان ان الاوثان وُضع عليها اسم الشياطين ولهذا حُرِّمت. امَّا القبَّة وما تحويها فقد وُضع عليها اسم الله المجيد وكانت تظهر فيها قوَّة الله واضحًا وكان بنو اسرائيل يستمدُّون بواسطتها معونات الله وخلاصهُ وتُصنع بها الخوارق المخوفة. فعلى هذا النمط يجري في الصليب اي انهُ حالما يُمثَّل هذا الرمز الشريف على الجدار او على اللوح او يُصاغ من موادّ كالذهب والفضة وغيرهما او يُنجر من الخشب فحالًا يتحوّل ويمتلئ من تلك القوَّة الالهيَّة التي كانت تحلّ في القبَّة هنالك ويضحي مقرًّا لسكنى الله اكثر ممَّا كان في تلك

هذا وكما ان خدمة العهد الجديد هي اكرم عند الله ممَّا كان في العهد القديم وكما يوجد بونٌ بين موسى والمسيح وكما ان الخدمة التي قبلها المسيح هي افضل من التي أُعطيت بيد موسى وكما ان كرامة الانسان هي اعظم من العجماوات وخلقته افضل منها هكذا هذا

الرمز يفوق بالفضل من اجل كرامة الانسان الذي اتخذهُ اللاهوت مسكناً لهُ . وكما يوجد فرق بين رضى الله بهذا الانسان الذي اضحى هيكلهُ التام وبين رضاهُ الاستعاري بالامور القديمة العديمة الحسّ والشعور التي كانت تتضمَّن ظلّهُ العتيد المنبئ بالمسيح فهكذا يفوق هذا الرمز كلّ ما سواه (١

على انا لو اكرمنا هذا الرمز وسجدنا لهُ دون اسم الذي شرَّفهُ لاستحقينا الشجب كاولئك القدماء الذين ابدلوا سجود الله بالاصنام . امَّا الآن فمن حيث انا نضع عليهِ اسم ذلك الانسان الذي حلَّ فيهِ اللاهوت (١ المشار اليه في العهد القديم وقد تمنَّاهُ البشر وتاقوا الى مجيئهِ مدَّة اثنا عشر جيلاً فليس فقط لا نشجب بل كل مرَّة تخطر هذه الامور لفكرنا في حين الصلوة او نسجد لهذا الشبه الذي فيهِ صُلب ذاك الانسان ننال قوَّة الهيَّة فبواسطة هذا الصليب نستحق المعونة والخلاص . والخيرات الغير الموصوفة في هذا العالم وفي الآتي

ولنا مثال على قولنا في صفيحة الذهب الابريز التي كانت تعلو قبة العهد وكانت قوَّة الله تتجلَّى فيها صريحًا لا يتجاسر الكاهن حين دخوله هناك ان يرفع عينيهِ ويتفرَّس فيها كما يليق بمسكن اللاهوت وكان منظرها مخوفاً مرعشاً زيادة عن كل ما كان في تلك الخدمة . والاباء قد رأوا فيها رمز بشريَّة المسيح . فان كان الرمز هكذا مخوفاً فما عسى ان تكون الحقيقة والمرموز اليه ؟ الَّا ان تلك الخدمة كان يلازمها الخوف امَّا هنا فاللطف والحب . هناك كان يقاصُ حالًا من يستهين بتلك الرموز كاولئك الذين احترقوا بنار مباخرهم (سفر العدد ١٦) . اما هنا فمن حيث قد سُكبت النعم بلا عيار ابتُلعت الصرامةُ بالوداعة

ان منظر الصليب يجدي المؤمنين نعماً كبيرة لان جميع الاسرار تفهمهم بهِ فكلَّما رفع الناس اعينهم ونظروا اليه كأنهم ينظرون شخص المسيح فتنالهم الخشية منهُ ويعزّ عليهم منظرهُ لانهُ مخوف ومحبوب وبصفة كونهم ابناء يشعرون بثقة عظيمة . فكلَّما اقتربنا الى الصليب كأننا نقترب الى جسم المسيح فان ايماننا بالصليب يصور لنا المصلوب

---

١) على القارئ ان يعلم بان مؤلفنا هو نسطوري قحّ ولهذا يتكلَّم في سر التجسد بتمييز اقنومين في المسيح وهكذا يصنع في الميمر كله وهذا برهان آخر على انهُ لم يكن كاثوليكيًا ولا يعقوبيًا كما توهَّم البعض (راجع مقالة حضرة القس اسحق ارملة السابق ذكرها)

وبتقرُّبنا منهُ ونظرنا اليهِ يرتفع عقلنا الى السماء وينتقل بالفكر الى الامور غير المنظورة او المحسوسة. وبكرامة ناسوت ربنا ينفتح نظرنا الخفي بالتأمل في سر الايمان

ولهذا لا نخجل ان ندعوه ُ ربًا ومخلصًا بل والمًا ونقرّب لهُ صلواتنا كتقريبنا ايّاها الى الخالق وكما اننا ايضًا لا نخاف ان ندعو ناسوت ربنا الذي هو انسان حقيقي الهًا وخالقًا وربًا اذ بهِ تكوَّن العالمون وخُلق كل شيءٍ وكل ذلك نطلقهُ عليهِ الهيًا لان ذاك الحاصل على هذه الصفات ارتضى ان يسكن فيهِ واعطاهُ كرامة لاهوتهِ والسلطان على كل شيءٍ فهكذا يُكرَم الصليب لانهُ بهِ كان مزمعًا ان توهب الخيرات للخليقة ولذلك امر الله الملائكة ايضًا ان تسجد للمسيح كما يقول الطوباوي بولس (عبرا ١: ٦): «لمَّا ادخل البكر الى العالم قال: لتسجد لهُ ملائكة الله» فاعطاهُ ان يُسجَد لهُ معهُ بسجود واحد اعني للانسان الذي اضحى ربًا (١ وللاهوت سويةً مع المحافظة على الطبائع كل بخواصها دون ان يصير تمييز في الاكرام. فنؤمن ان كل ما يُعزى الى هذا (اي السيد المسيح) يصعد اليهِ تعالى فيقبلهُ لنفسهِ هو الذي ارتضى ان يشركهُ بهذا الاكرام. فكل هذا انما عرفناهُ بالصليب وقد استفدنا معرفةً سديدةً عن الخالق بواسطة هذا الصليب الذي يستحقرهُ غير المؤمنين

ثم ان جميع الناطقين اعني الملائكة والبشر استحقُّوا بالمسيح محبة الخالق ومحبَّة بعضهم لبعض بشركة ايمان واحد بالله اله الكل. فان الصليب هو ثوب المسيح كما ان ناسوتهُ هو ثوب اللاهوت (٢ على سبيل الرمز الى ان يأتي الزمان الذي فيهِ يتجلَّى الاصل الحقيقي وحينئذٍ لا حاجة الى هذه الاشياء.

ان اللاهوت يسكن بالناسوت بلا افتراق ولا نهاية اعني بلا حدود ولهذا ننظر الى الصليب كنظرنا الى مسكن العلي ومقدس الرب وبحر اسرار تدبير الله. هذا مثال الصليب يوضح لنا ايمان العهدين كما نوَّهنا بهِ اعلاه لا بل هو ختام تدبير الخاص لانهُ كلما تفرَّسنا بالصليب بحواسنا الصحيحة يجتمع ويقوم امامنا داخلًا تذكار تدابير الرب

---

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هذا التشبيه من تشابيه النساطرة فانهم اذ جعلوا في المسيح اقنومين اقنوم الاله واقنوم الانسان خلافًا لتعليم الكتاب وعقائد الكنيسة والمجامع شبَّهوا الناسوت بثوب لبسهُ اللاهوت ولم يتّحد بهِ اتحادًا جوهريًا مع بقاء الطبيعتين على خواصهما دون اختلاط ولا امتزاج

كلها ذاك الذي اذ كان قد حلّ فيه كل امتلاء اللاهوت جسديًا كان يتردّد كانسان بسيط على باب الخطأة كما قال اشعيا (٥٣ : ٢) : حقير ووضيع بين البشر لم يكن لهُ بهاء ولا منظر . فيا للعجب ان الخالق في الانسان كان يدخل بيت العشارين والزناة وبواسطته كان يقنعهم على الرجوع اليه وبتعاليمه يحرضهم على المصالحة معهُ وكان يؤيد كلامهُ الصحيح بالآيات والمعجزات الصحيحة . . .

وفي آخر الكل تحقق المؤمنون الرجاء الذي اعطاهم لانه ختم كلامهُ معهم بسفك دمه وبواسطة موته وقيامته ثم قوّى اثني عشر رجلًا انتخبهم من كل الجنس الآدمي بسبق معرفة الله الى هذه الخدمة وبمجد لا يوصف اصعده اليه الى السماء المكان الذي لم تطأهُ رجل خليقة حيث بواسطته دعا جميع الناطقين الملائكة والبشر الى الملكوت السعيد ليتمتَّعوا بالنور الالهي الذي لبسه هذا الانسان المائت قداسة وهو الآن بعيَّة الله باكرام وبهاء لا يوصف

هذه هي الاسرار المتضمنة في رمز الصليب وسبب المعجزات التي صنعها به الباري في العالم اجمع . هذا الذي نسجد لهُ ونكرمه بفرح . هذا الذي كان منذ الازل في عقل الله ان يعطي الجميع بواسطة رمزه معرفة مجده مع الحرية المزمعة ان تكون لجميع الناس . مبارك الله الذي باشياء جسميَّة يقرّبنا دائمًا سريًا الى معرفة خفاياهُ غير المنظورة ويزرع ويرسم في عقولنا ذكر اعتنائهِ بنا في كل جيل وبمواد منظورة يربط عقلنا بمحبة خفاياهُ . فليبتهج قلبنا باسرار ايمانه نحن المتمسكين بها لنفرح بالله الذي اعتنى بنا كل هذا الاعتناء . ندخل في تأمل عقولنا الى عمله هذا العجيب نحونا . نفرح بالرجاء الذي تجلّى لنا نحن ابناء المسيح بسرّ العهد الجديد الذي قبلناه بواسطته . السجود لله الذي لاجل خلاصنا صنع كل شيء في العالم ليقرّبنا اليه حتى يتجلّى لنا العالم العتيد حيث نقبل الخيرات اللائقة ببني الله . السجود لقوّة الصليب التي منحتنا كل هذه الاشياء وبها استحقينا معرفة الله كما يعرفهُ الملائكة بواسطة تلك القدرة التي بها خُلقت البرية كلها المنظور منها وغير المنظور . المجد والعظمة والسبح للذات الالهيَّة التي ابدعتنا ومنحتنا هذه الاشياء كلها ومزمعة ان تهبنا ايضًا الملكوت ولها السجود والكرامة والتبجيل الى ابد الآبدين آمين

الآداب العربيّة
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

وقد كان لغير هؤلاء المصريين بعض الشهرة ايضاً في فنون شتى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفّار الدسوقيّ) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١—١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولّى فيه تعليم العربيّة ثم نُقل الى المهندسخانة الخديويّة واشتغل في الرياضيّات وسعى بطبع الروضة السندسيّة في الحسابات المثلثيّة. وتعيَّن مدّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريّة. ومن تآليفه حاشية على المغني. وعليه درس العربيّة الانكليزيُّ المستشرق لان (E. W. Lane) الشهير بمصنَّفاته الشرقيّة ولاسيما معجمهُ العربيّ الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨٤٥—١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربيّة واعاد لها شيئاً من رونقها المطروس بما وضعهُ من الأنغام واحدثهُ من اصول الفنّ

❀ ادباء العراق ❀ اصاب قطر العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينل فيه الشهرة في الكتابة الّا القليلون. هذا الى انقطاع اخبارهم عنّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

وممن اتّصلت بنا منظوماتهُ (الملّا حسن الموصلي البزّاز) اشتهر في اواسط القرن التاسع عشر وتوفي في عشره الاخير. لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمّة تلميذه الحاج محمّد شيت الجومرد الموصلي الذي ذيَّل الديوان بنُبَذٍ من شعره. وقد اتّسع حسن البزّاز في قصائده بمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين. ومن شعره ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلّى علينا عارضٌ غير ماطرٍ وكنّهُ بالثلج عمَّ نواحيا

فاصبحتِ الخضراء بيضاء قد زهت   وعادت رباها والبطاحُ كوابيا
وكم بسطت منهُ يدُ البردِ والشتا   بساطاً على وجه البسيطة باهيا
وكم جبلٍ راسٍ يقولُ مُفاخرًا   ألم تنظروا قد عمَّم الثلجُ راسيا
فقلتُ بهِ اذ كان شاذًّا وقوعهُ   ليذكرهُ من بعدُ مَن كان باقيا
غمامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخًا   حبا مِصرَنا بردًا من الثلج زاهيا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبّهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مَثُوبةٌ   وليس على العصيان منهُ عقابُ
لَطاعتهُ عندي نعيمٌ وجنَّةٌ   وعصيانهُ قبل العذابِ عذابُ

وقال يرثي اخويهُ عليًا ومصطفى :

بكينَ حماماتُ الأراك لتربتي   ونُحنَ على فقدانِ ما انا فاقدُ
لقد غابَ مني فرقدٌ بعد فرقدٍ   وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انني   بهم ملحقٌ يومًا وما انا خالدُ

ومن أدبا العراقيين (ابراهيم فصيح الحيدري) كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبة الحرمين مدَّة وتولَّى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيها الغثّ والسمين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١ م)

ومنهم (الشيخ اسماعيل الموصلي) ولد في الموصل وجاء الى بغداد في أبان شبابهِ ودرَّس في مدرسة الصاغة عدَّة سنين حتى وفاته في ٢٨ ذي الحجّة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) وكان حنفيّ المذهب على الطريقة النقشبندية. وكان اماماً في العلوم اللدنيَّة وبرز في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة. وقد اعقب جملةً من الابناء كلُّهم من طلبة العلم اكبرهم محمَّد راغب خلف اباهُ في التدريس. ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفهِ منها :

كل ما لذَّهم فذلك عندي   ألمٌ غير ذكر إبراهيما
عبقريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في   صدرهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحًا وقد جا   ء فصيحًا بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من مَتنٍ وشرحٍ افادا   واجاد المنثور والمنظوما
وقوافٍ من كل بحر اذا ما   سُردت خلتهنَّ درًّا نظيما
عن ابيهِ وجدّهِ مستفيضٌ   كلُّ فضلٍ فكان ارثًا مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ :

رَدَّ مني السفيهَ بالنظم والنثر م فكانا لذا الرجيم رُجوما
علم الناس ابرهيمَ خليلًا وصديقًا لي ان دعوت حميا
هذه مدحتي فان كنت قصَّر تُ فاني مدحتُ بَرًّا حليا

ومنهم (عبد الله افندي العمري الموصليّ) من ادباء وطنه المعدودين واحد رؤساء علماء العراق. لهُ فصول نثريَّة واشعار متفرّقة لم تجمع حتى اليوم وقد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمري نسيبهُ حيث قال:

ليت شعري ماذا اقول بمولًى قد اقرَّت بفضلهِ الاعداءُ
فيهِ قرَّت عيونا واستنارت وازدهت في وروده الخضراءُ
يا اديبًا سما سماء المعالي كيف ترقى رُقيَّك الادباءُ
نلتَ حدَّ الإعجاز نظمًا لهذا خرست دون نطقك الفصحاءُ
انت يا سيدي بغير رثاءِ خُتم النظم فيك والانشاءُ

ورثاهُ حسن البزّاز فقال من قصيدة:

نعى الحبرُ الذي للعلم حبرٌ بهِ فرجاء اهل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاضَ بحرٌ وغابت من سماء المجد شمسُ
اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهيرُ بكل فضلٍ تباهى فيهِ للعلياء رأسُ
كأن الموت نقّادٌ بصيرٌ احسَّ بما يُحاولُ منهُ حسٌّ
تفرَّد فانتقى منّا نفيسًا تحسَّر بعدهُ عربٌ وفرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ (شهابُ الدين العلويّ) احد رجال وطنهِ المقدَّمين يعدُّهُ العراقيُّون كفارس حلبة الآداب في زمانهِ. لهُ ديوان شعر لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصرهِ ويناوبهم الرسائل الادبيَّة والقصائد الرنَّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠ : ٧٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اولها:

طغيانُ دجلةَ خطبٌ من الخطوب المخلَّه

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:

حديقةٌ أثمرت اوراقها حِكَمًا لنا ثمارُها امتدَّت وقد نمت
فمن يشأ يتفكَّهْ في مناقبها ومن يشأ يتفقَّهْ بالذي شرحت
طالعْ تُفابلْكَ مرآةُ الزمان بها وانظر الى صورة الدنيا وقد نصحت
كم أودعت نُبذًا للسمع قد عَذُبت وردًا ومن قلب ذاك الصدر قد نبعت

على الكمالات طبعُ اللطف أرَّخها لنا مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٠)

وله قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ اولها:

من قوم عيسى جانب قدماً والدهرُ قد نكّس منهُ عَلَما
خطبٌ جسيم ومصابٌ عَظُما بموت من ابكى عليهِ الاُمما
قد فقدوا منهُ حكيماً حكَماً وكان ذا علم بطبّ الحُكما

وممن مدح الشيخ شهاب الموصلي صاحبُ الجوائب فقال فيه من ابيات:

شهاب العصر خلّاقُ المعاني فهل من ذاكر للأرّجاني
عزيز الشأن تفتخر المعاني به فخر المعالي والمعاني
لعمرك انَّما يلقيهِ قولاً ليحكي ما يُنسّق بالبنانِ
فذاك الدرُّ للأسماع حليٌ وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاه عن بُعدٍ كأني اراهُ في علاهُ على التداني
كذاك الشهبُ توصفُ من بعيدٍ وإن خفيت سناء في مكانِ

ولا نعلم اي سنة توفي الشهاب الموصليّ. كما أننا لم نقف على تفاصيل اخباره

ونُلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهرا في الهند احدهما السيد ابو الطيّب صديق بن حسن القنوجيّ البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٤) في قنوج واتصل بخدمة بعض ملوك الهند خان بهادر وافاد مالاً كثيراً حتى تزوَّج بملكة بهوبال في الاقليم الهندي المسمَّى دكان وجمع مكتبة واسعة واشتغل بالعلم ونشر عدَّة مصنَّفات زعم البعض أنها ليست لهُ وانَّما كلَّف العلماء بتصنيفها فعزاها لنفسهِ كفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في اصول اللغة والعَلَم الخفّاق في الاشتقاق ولف القماط على تصحيح بعض ما استعملتهُ العامَّة من المعرَّب والدخيل والمولَّد والاغلاط وكتاب لقطة العجلان وكتاب غصن البان المُورق بمحسّنات البيان وكتاب ابجد العلوم. وقد جمع في كتاب دعاه قرَّة الأعيان ومسرَّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أدباء الزمان. توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تجوَّل مدَّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيّد (حيدر الحلّاوي) وُلد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١ م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧ م) كان شاعراً وجمع شعرهُ في ديوان طبعهُ في بمباي لم نحصل على نسخة منهُ حتى الآن

وفي هذه الحقبة ازهر في مكّة شيخ علمائها (احمد بن زيني المعروف بدحلان) ولد في حاضرة الحجاز وتولّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدةً وفي زمانهِ أُنشئت في مكّة اوَّل مطابعها فكان السيّد دحلان متولّيًا نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيَّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميَّة في جزءَين كبيرَين . وكان طبع في مصر قبل ذلـك كتبًا أُخرى كالسيرة النبويَّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقًا طبعهُ في مكّة توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليهـا في رفقة الشيخ عون الرفيق لمَّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيَّة الذي رفع في امّتهِ لواء الآداب فضلًا عمَّا احرزهُ من الجد في تدبير الامور وحسن السياسة نعني بهِ الوزير الخطير (احمد جودت باشا) . وُلد في لوفجة في ولاية الطونة سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) وانكبَّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيَّـة والدنيويَّة وبرع في اللغتين الفارسيَّة والعربيَّة فضلًا عن لغتهِ التركيَّـة وليس من غايتنا ان نتتبَّع آثار المترجم في المأموريَّات التي تولّاها والمناصب التي تقلَّب فيها في كل الدواوين منها الاحكام العدليَّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة . وانَّا نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأنًا تاريخهُ لآل عثمان في تسعة مجلَّدات عرَّب جزءهُ الاوَّل جناب عبد القادر افندي الدنا . ولهُ رسائل عربيَّـة وتعليقات . ونقل قسمًا من مقدَّمة ابن خلدون الى التركيَّة وصنَّف عدَّة كتب مدارسيَّة للاحداث ظهر بعضها في العربيَّة . وكان جودت باشا احد الاتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغًا واسعًا اذًا . مارقةً في اللغة التركيَّة فيُعدُّ فيها اماماً وحجَّةً . كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أُدباء الاسلام في تونس (الشيخ محمَّد بيرم) ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠—١٨٨٩) تقلَّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة المطابع ونظارة الاوقاف وقد لعب دورًا مهمًّا في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعَضَد الشورى الّا انَّ آمالهُ خابت بعد فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيَّة ووُلّي القضاء في محكمتها الابتدائيَّة . ولهُ آثار ادبيَّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمَّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء

اوربّا. ولهُ ردّ على رينان في ما كتبهُ من الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيّة حاول فيها بيان طرق اصلاح الاسلام وتقريبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أدباء النصرانيّة في هذه المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقّنوا الآداب العربيَّة في مكاتب مللهم الخاصّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون. ولو اردنا ذكرهم فردًا فردًا لاتّسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برز بينهم بمعارفهِ

وكان في مقدّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلًا عمَّا خلّفوهُ من آثار قلمهم. فكان على الطائفة المارونيَّة السيّد السند (البطريرك بولس مسعد) رعاها مدَّة ٣٦ سنة بتُقًى واجتهاد وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة. وكان متضلّعًا بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ التحفة الغرَّاء في دوام بتوليَّة العذراء، وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طُبع في طاميش وسعى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرَّبًا الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين اساقفة الموارنة المطران (يوحنا حبيب) مطران الناصرة شرفًا (١٨١٦—١٨٩٤) ومنشئ جمعيَّة المرسلين الكريمين. تولَّى في لبنان القضاء زمنًا على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تآليفًا. ومن آثارهِ تعريب اللاهوت الادبيّ للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلّدين ولهُ ردّ على الشيعة الماسونيَّة وعدَّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة

وممن عُرفوا بسموّ الهمَّة في تعزيز الآداب في الربع الاخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة: (السيّد يوسف مطر ١٨١٤ — ١٨٨٢) انشأ في الشهباء مكتبًا لملّتهِ واستجلب اليها مطبعةً ادَّت للحلبيين خدمًا مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في المشرق ٣: ٣٥٨). ودرج ادراجهُ خلفهُ (السيّد بولس حكيم الحلبيّ ١٨١٧—١٨٨٨) لهُ مواعظ وخطب شتّى. وكان يقول بديهًا القدود والقصائد والزجليَّات والاناشيد التقويَّة على اللهجة العاميَّة

وانأف عليهما شهرةً خلفهما السيّد (جرمانوس الشمالي) من سهيلة كسروان

(١٨١٠ — ١٨٢٨) كان مثالاً حيًّا لكلّ الفضائل الاسقفيّة. امّا شهرتهُ في الآداب العربيّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية. منها مجلّدان ضمّنهما مجموع خطبهِ وعظاتهِ ثمّ ديوانه المسمّى «نظم اللآلئ» وفيهِ كثير من المنظومات الجيّدة وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوّلةً (٥: ٨٥٠—٦٨٠) فنحيل اليها القرّاء. وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هناك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩:

أحسِن بمصرَ وما شاءت مواليها | من لي بجادٍ الى مدحٍ يوازيها
عاينتُ أكثرَ مماً كنتُ اسمعهُ | من عزّةِ النفس والتقوى بأهليها
محروسةٌ صانها المولى بقدرتهِ | وعينهُ لم تزل يُغطي ترابيها
فيها مباني عمادِ المجد من قِدَمٍ | تُعَدُّ اعجوبةَ الدنيا مبانيها
من فائض النيل تُسقَى مثلما شربت | من فائضِ العلم تَسقي مَن ثوى فيها
تبارك الله ما اشهى خمائلها | تستنشق الروحُ ريّاها فتُحييها
فالبحرُ اوسطُها والبرّ حاطَ بها | والسهلُ والوعرُ كلٌّ من فحاويها
سبحان من يجمع الدنيا بواحدةٍ | فتحتوي كلَّ ما تحوي اقاصيها
اهرامُها الشمُّ والآثار شاهدةٌ | بعزّةِ الملك من اعصار بانيها
تُدعى بقاهرة الاعداء عن ثقةٍ | ومنبعُ العلم من أسمى اساميها
ودّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرِّخةً | وداعَ مصرَ فاني غير ناسيها (١٨٨٩)

وعُرف ايضاً في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة قبرس المطران (يوسف الزغبي) درس في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير ثمّ علّم في كليّة ليل من اعمال فرنسة اللغتين العربيّة والسريانيّة وسعى في أيام اسقفيّتهِ بانشاء مدرسة قرنة شهوان سنة ١٨٨٥ فنالت بهمّتهِ نجاحاً. ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ. توفي في اواسط كانون الاول من السنة ١٨٩٠

امّا الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري (ارسانيوس الفاخوري) وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فاتخذهُ القصّاد الرسوليّون كمعاون لهم في اشغالهم ولزم مدّةً اعمال القضاء في لبنان ودرّس العلوم العربيّة والقوانين الفقهيّة لكثير من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوّلة التي نشرناها في المشرق (٣: ٦٠٦—٦١٦) وعدّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوّل في الصرف والنحو. وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في

الشعر العربيّ. ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائده في المشرق منها بديعيّتهُ (المشرق ٤: ٢٦١) وقصيدتهُ في قبر المسيح (٣: ٣٦٣) وغير ذلك. ومن شعره في الطهارة من ابيات:

يا صاحِ عِش متسربلًا بطهارةٍ تُصبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فافٍ من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم مُلَقّى بكمالها

وقال مخمّساً لبيتين نظمهما احد الشعراء:

أتُوق لودّ من يهوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقٍ بالفؤادِ رأيتُ بنفسجًا في ظلّ وادي
وغصنُ البانِ مُشكفًا عليهِ
فكلٌّ يجذبُ الثاني لحبّ كمغناطيسَ قد كنّا بجذبِ
وقلبٌ شاخصٌ عنّا لقلبي فقلتُ تأمّلوا بصنيعِ ربّي
شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ

ولهُ ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٦٩ ليبيّن فيها حرّيّة الانسان وخلوّ ارادته من الاضطرار السابق هاك اوّلها:

الحمدُ لله القدير السرمدي حمدًا يقينا من شرور المعتدي
خلقنا الله على صورتهِ وشبهِ جلّ عُلى قدرتهِ
كي نحبَّهُ هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلِّدا
فينا اختيارًا كاملًا قد أوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيّةٌ طاقةٌ ونيّةٌ في فعل ما تريدهُ المشيّةُ
قد ضلَّ مَن قال بهِ اخلافا ولا يرى رأيًا بذا يُعافى
أمامك النيرانُ والماء فما تختارُ منها لهُ أمدُدْ معصما
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علَّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلَّما
لولا اختيارٌ لِفعالِ فاعلٍ لم يُجزَ عنها من وليٍّ عادلِ

وفي هذا العُشر التاسع اي نحو سنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل القس اغناطيوس الخازن من الاسرة الخازنيّة والرهبانيّة اللبنانيّة تولّى زمنًا طويلًا رئاسة دير البنات وكان معروفًا بفضله وجودة قريحته عارفًا بالفقه. وقد وقفنا لهُ على ديوان مخطوط يدلّ على توقّد فهمه وذكاء عقله ضمّنهُ كثيرًا من

تواريخ لبنان بين السنتين ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنْ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوَّهت اكثر قصائدها باغلاط النسّاخ. وممَّا يُروى لهُ قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكو اثقال الرئاسة :

وَيلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى   فالرفعُ بالخفض استبانَ ما ولى
كم بات مضطربًا لصرف ملمَّةٍ   كم ضاق من تعبٍ الفؤاد فولولا
تبًّا لها من هنَّةٍ بل محنةٍ   يُبلَى بها النسّاكُ من ربّ الملا
كم حاسدٍ جلبَت وردَّت حاسدًا   والبال فيها لا يزال مُبلبلا
مملوءةٌ مرًّا ولا تحلو بها   تحوي من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قيلَ كلٌّ للرئاسةِ مائلٌ   قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءًا صَلى

وقال مؤرخًا وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٤ :

بكتِ العيونُ امير عُربٍ حيدرا   من بعدهِ هجر القلوبُ سلاما
اذ غابَ عنا صاح كل مؤرخٍ   آها بيتِ اللمعِ صار ظلاما

وقال متفكهًا في أقرع اتاهُ من بعض اصحابهِ بقرعة مملوءة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ وافاض الخمر :

قد صبَّ اقرعُ في طريقٍ قرعةً   وأتى بعذرٍ يشتكي من تعسهِ
عزّيتُهُ بالقول طبْ نفسًا وسِرْ   فلكلّ شيءٍ آفةٌ من جنسهِ (لها بقية)

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمَسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عمرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ اسم الماسونيَّة

قد اطَّلعنا على كذب الماسون في تدوين تاريخهم. ولا نخالهم اصدق في ما سيأتي ذكرهُ. قال الاخ .·. فلتار (١ : « اكذبوا اكذبوا فلا بُدَّ ان يبقى شيءٌ من كذبكم »

---

١) النقط الثلاث شعار الماسون يقدّمونهُ على اسمائهم في كتاباتهم ليتعارفوا بينهم وهذه النقط تمثّل مثلثًا يريدون بهِ المساواة بين كل البشر بين الصغير والكبير والسيّد والمسود والامير والمأمور. امّا كون فلتار أخصي بين الماسون فهو امر ثابت لا ينكَر (اطلب تاريخ الماسونية لجرجي زيدان ص ١٤٩)

وقد سمعنا (في المشرق ص٧١٧) الاخ .‥. امين ريحاني يقول : « انّ الامتناع عن السبّ والكذب في اللبنانيين من علامات البلادة والخمول ». وعليهِ فلنوطّن نفسنا على استماع الكذب من افواه الماسون في كل باب من ابواب بحثنا عنهم . وكلامنا في هذا الفصل عن لسمهم الكريم نستفتيهم فيهِ كما استفتيناهم في صحّة تاريخهم

فَرْمسون اسم مركَّب من لفظتين افرنسيَّتين « فران » (franc) ومعناها الصادق « وماسون » اي الباني يريدون انهم بنّاؤون صادقون . قال السيّد دي سيغور : ناهيك بهذا الاسم شاهدًا على كذب الملقّبين بهِ اذ ليسوا ببنّائين ولا بصادقين . امّا كونهم ليسوا بُناة فالامر واضح اذلا يشتغلون بتشييد الابنية لا بل ينفون من جمعيّتهم الذين يرتزقون بالحِرَف الدنيَّة والبنّاؤون منهم كما لا يخفى ما لم يَقل الماسون انّ الخراب والبناء يتلازمان وهم يشتغلون بخراب بناء العمران والهيئة الاجتماعيّة . امّا صدقهم فيتّضح من تضاربهم في اقوالهم وتباينهم في مزاعمهم فينكر هذا علانيةً ما يعلّمهُ ذاك سرًّا ويجاهر الواحد في بلدٍ بما يكتمهُ اخوهُ في بلد آخر كما سترى

ومن غريب الامور انّ الفرَمسون مع رضاهم بهذا الاسم الكاذب لا يحبّون ان يُجاهروا بهِ . أفرأيت يا صاح احدًا منهم يضيف الى كتاباتهِ لقب الماسوني فيكتب مثلًا « فلان الفلاني الفرمسون » . لا لعمري بل ان سألت ماسونيًا أهو احد المنتمين الى تلك الشيعة أنكر ذلك كل الإنكار فكأنّك نسبتهُ الى كبائر المحظورات . وقد اقرّ بذلك صديقنا جرجي افندي زيدان في تاريخ الماسونيَّة (ص١٩٨) حيث قال :

« تأمَّل بما أُلِم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تحور لها الهِمَم وتُنكَر من أجلها الاعمال . امَّا العامَّة فلا تسأل عمَّا غُرِس في اذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون حتى اصبح اسمهم مرادفًا لأدنى صفات الاحتقار عندهم فكانوا اذا ارادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون انسب من قولهم « فارماسون » للافادة عمَّا في ضميرهم فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق محتال »

وليس هذا كما زعم الكاتب « في الزمن السابق » فانّا نعرف كثيرًا من الماسون الذين في ايّامنا « اذا سئلوا تجاهلوا واذا أُتهموا تبرّأُوا » فهيهات « ان يفتخروا (كما ارتأى) بهذا اللقب افتخارهم باشرف الألقاب » ولا نطلب دليلًا آخر على صدق قولنا الّا اخفاء المحافل لتقاويم اعضائها فلا يسمحون البتّة بنشر اسمائهم . فلولا انّ في الزوايا خبايا لافتخروا باسم الماسون كما يفتخر الناس باسم شيخ وامير وكُنت ومركيز وكما

نفتخر نحن باسم اليسوعيين او « جزويت » رغماً عن كل مساعي الماسون والكفرة بتشنيع هذا الاسم الشريف في كتبهم ومعاجمهم

وللماسونيَّة اسماء أُخرى اختلفت على اختلاف الامكنة والازمنة والفروع المتفرّعة منها كالمنوَّرين في المانية والفحَّامين في ايطالية وليست هذه الاسماء اصدق من اسم الماسون

امَّا الاسم الذي يليق بكلّ هذه العُصَب والفئات التي تتألَّف منها الماسونيَّة فهو ما لا تستطيع الى انكارهِ سبيلًا ولا بُدَّ من اقرارها بهِ ويشملها كلَّها على حدّ سواء فهو اسم الشيع السريَّة . فهي في كل وقت منذ نشأتها وفي كل بلد حلَّت بهِ لم تظهر الَّا تحت حجاب السرّ متلثّمةً متقنّعةً لاترضى بانكشاف سترها واماطة قناعها فتخفي غاية جهدها نوادي اجتماعها وما يدور بين اعضائها من الابحاث وتحظر على ذويها بالأقسام الحرّجة وتحت العقابات الهائلة ان يكشفوا شيئًا من أسرارها وكفى بذلك دليلًا على بضاعتها التي لا تروج الَّا في الظلمة فيصدق فيها قول الرب لذكرهِ المجد (يوحنَّا ٣ : ٢٠): « ان كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلا تُفضَح اعمالهُ فامَّا الذي يعمل الحق فانَّهُ يُقبل الى النور لكي تظهر اعمالهُ لانَّها مصنوعة في الله »

٣ غاية الماسون

لكلّ جمعيَّة غاية يقصدها اعضاؤها بوفاقهم وضمّ قواهم . فالشركة التجاريَّة تنوي رواج المعاملات التجاريَّة في بيع المحصولات وشرائها . والجماعة العلميَّة تطلب بالتكاتف رفع منار المعارف والفنون . والجمعيَّة الرهبانيَّة تتوخّى ممارسة الفضيلة والسعي وراء الخير العام وتوطيد اركان الدين وهلم جرًّا . فيا ليت شعري . ما هي غاية الماسونيَّة ؟ ماذا تريد وما هي الوسائط التي تتَّخذها لبلوغ غايتها . فلنسمع اوَّلًا اصحابها لعلَّهم يفيدوننا من امرها شيئًا نهتدي بهِ الى مقاصدها . قال الاخ ∴ ايليا الحاج في الخلاصة الماسونيَّة (ص ١٢ و ١٣):

« غايتها (اي الماسونيَّة) الاعمال الخيريَّة لبني الانسان تحمي اليتيم وتعضد الارملة وتقود العالم الى الحريَّة والمساواة والاخاء . . . الغرض منها سُنَّة الفضيلة . . . يجب عليك كبنَّاء حرّ ان تقوم بالواجبات الماسونيَّة التي تشتمل على محبَّة الله ومحبَّة القريب ومحبَّة نفسك !!! . . . انَّ اخضاع الشهوات هو الغاية القصوى . . . »

وقال الاخ المكرَّم ∴ شاهين بك مكاريوس في كتاب الآداب الماسونيَّة (ص٥)

« وايّ مقصد اشرف من مقصد هذه الجمعيّة وايّ غاية احمد من غايتها ألا وهي توطيد الحبّ بين اعضائها ورفع الشقاق والبغض وحثّهم على فعل الخير والاحسان مع اخوتهم المحتاجين وساعدتهم في بلاياهم . وكأنّ اعضاءها قد وضعوا امام اعينهم ويلات الجنس البشري ومصائبهُ ووطّدوا انفسهم على اتّقائها ودفعها فينفقون في سبيل البرّ على اخوتهم المحتاجين المبالغ الطائلة ويغذّونهم بالمساعدات الادبيّة والمادية وهم يحسبون ذلك على انفسهم فرضاً واجباً لا يطلبون عليهِ اجراً »

وكأنّ « الاخ المكرّم » موسس محفل اللطائف احسّ بما في هــذا المقصود من الخلل اذ جعل كل غاية الماسونيّة في معاضدة اعضائها بعضهم لبعض دون المبالاة بغيرهم من البشر فقال في كتابهِ الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ٤) :

« الماسونيّة جمعيّة ادبيّة اخذت على عاتقها خدمة الانسانية وعضد الدين بادبيّاتها واصلاح الشعوب وتنوير الاذهان وابوابها مفتوحة لكل من شاء الانتظام في سلكها من الادباء والمهذَّبين . . . . وعدد اعضائها ملايين يحتمون تحت لواء الحريّة والمساواة والاخاء تقضاء غاية صالحة اجمعوا عليها وهي خدمة البشرية واعلاء منارها . . . واتهام الماسونية بأنّهـا عدوّة الدين كذب محض لأنّ دستورها الاساسي الايمان بالله وخلود النفس والكتب المقدّسة اركان هياكلها وزينة مجتمعاتها وبركة اعضائها »

اما الاخ ∴ جرجي زيدان فانّهُ في كتابهِ تاريخ الماسونية العام لا يصرّح بغاية الجماعات الماسونيّة وانما يكرّر مراراً بعد اقطه في سرد تاريخها ان الماسونيّة يحتاج اليها البشر لنشر العلم « لان العلم لا ينمو وينتشر الّا بواسطة الجمعيّات السريّة »(ص ٢٤) ثم اردف ذلك بمقابلة كفريّة فعارض بين انتشار الدين المسيحي وانتشار الماسونيّة وزعم ان الديانة المسيحيّة كانت في اوائل النصرانيّة كالجمعيّات السريّة ولم ينسَ الّا ان يذكر لنا شهداء الماسونيّة كالالوف وربوات الالوف من شهداء الدين المسيحي الذين جاهروا بالايمان رغماً عن افظع العذابات واعانوا بايمانهم على رؤوس الاشهاد

وورد في كتاب نظامات الماسونيّة العموميّة التي ترجمهـا من الفرنسويّة « حضرة كلّي الحكمة الياس بك منسّى رئيس محترم مجمع شابتر الكرنك الاكبر ومحفل العدل الموقّر بشرق مصر . . . عام ١٨٩٠ » (ص ١٠) :

« غاية الماسونيّة هي في مقاومة الجهل تحت جميع اشكالهِ وهي مدرسة متحابّة . . . تمنع في عاداتها كل مجادلة سياسيّة او دينيّة . . . انّ الماسونيّة لا تمنع احداً من ممارسة فروض ديانتهِ . . . وانمّا تعتمد تعليم العالم وكل تعليمها منحصر في هذا المبدإ وهو محبّة بني النوعيّة *. وانمّا تنادي ايضاً الذين يخشون الاختلافات السياسيّة بقولها اني امنع من اجتماعاتي كل اختلاف وكل مناظرة سياسية »

فيُحصل من النصوص السابقة : اوّلا انّ الماسونيّة جمعيّة خيريّة غايتها خدمة بني الانسان عموماً وذويها خصوصاً . ثانياً انها تسعى في قمع الجهل ونشر العلوم . ثالثاً انها لا تقصد معاداة الدين . رابعاً لا تنوي غايةً سياسيّة

وها نحن نبيّن انّ الماسون يكذبون كذباً صريحاً في هذه الامور الاربعة ونسند غالباً ادلتنا الى اقرار الاخوة ∴ الذين لا تُرَدّ شهاداتهم

١ً كذبت الماسونية بقولها انّها جمعية خيريّة

انّ كنيسة المسيح ورثت من منشئها حبّ الفقراء ومساعدة المحتاجين وعلاج كل داء وآفة تدهم بني البشر . فان قلنا انها جمعيّة خيريّة وامّ الجمعيّات الخيريّة لا احد ينكر علينا قولنا . وان قام مكابر ينكر ما هو اوضح من الشمس القنّاء الحجر فعددنا لهُ مئاتٍ من المستشفيات والمستوصفات والمآوي والمياتم والملاجئ للفقراء واللقطاء والعجزة والعميان والمتوهين وليس ذلك في البلاد القاصية بل في ذات بلادنا هذه . وتحت نظر كلّ من لا تعمي الأغراض بصره ألوف من الرهبان والراهبات ورجال البرّ يُدهشون باعمالهم الشريفة كل من يبصرهم في مصر وفلسطين وبرّ الشام والعراق والجزيرة وجميع ولايات الدولة العثمانيّة . وكذلك لبقيّة الطوائف من مسلمين وبروتستانت وارثذكس بعض مشروعات خيريّة يعرفها الكلّ ويشكرون فضل مباشريها

امّا الماسونيّة فطالما بحثنا عن مساعيها الخيريّة ومبرّاتها للخير العام كتمريض ذوي العاهات واسعاف المنكوبين وزيارة المسجونين وانشاء المآوي للايتام وتلطيف اسقام البشريّة وكذلك في سياحاتنا في جهات الشرق وفي انحاء اوربّة تحفّينا في السؤال عن ذلك فكنّا مهما نقرع باباً لا نسمع جواباً . هذا ونحن نعلم حق العلم انّ الماسون لم ينذروا الفقر كالرهبان الذين مع قلّة ذات يدهم قد شيّدوا معاهد لا تحصى لذوي البأساء في كل اصقاع العالم . فما كان احرى بالماسونيّة ان لا تدع الرهبان يغلبونها باعمال الرحمة لاسيما انّ الاخ ∴ شاهين بك مكاريوس مؤسس محفل اللطائف ورئيسهُ قد افتخر بالماسونيّة ودعاها « اكبر الجمعيّات واغناها » فاين رعاك الله مآثر ذلك الغنى وفوائد تلك الثروة الواسعة ؟ افلا يستطيع لعازر المسكين ان ينال قليلًا من فتات موائد الماسونيّة ؟ ونحن الذين نرى الماسونية في الشرق تحصي لها نيفاً وخمسين محفلًا لم

نسمع حتى اليوم بأدنى عملٍ خيري تعضدهُ او بمستشفى تسندهُ بقناطيرها المقنطرة ولم نجد ذكرًا للماسونية في جميع الاكتتابات التي تولَّاها ذوو المروءة بعد زلازل قلبريَّة وخراب مسينة ومذابح آطنة في حين كنَّا نرى الفقراء انفسهم يتسارعون الى دفع دريهماتهم للمنكوبين

واملُ الماسون يقاطعوننا بقولهم انهم ليسوا كالمرائين اذا اتوا صدقةً ينفخون بالبوق امامهم ليعرف الناس حسناتهم . هذه نعم الغاية لو كان قول الماسون صادقًا فانَّنا نحن ايضًا نكره الذين يطبّلون ويزمّرون ليُطلعوا العالم على برّهم لكن هذا التواضع لا يمنع «اولاد الارملة» ان يضبطوا كبقيَّة الجمعيات الخيريَّة حساباتهم فيقف عليها الناس ويمجّدوا الله في اعمال تلك العصبة الشريفة . أفلم يوصنا الرب بقولهِ (متى ٥: ١٦): «فليضئ نوركم قدَّام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا اباكم الذي في السموات»؟ . فانَّنا نعرف كثيرًا من الجمعيات الخيريَّة كجمعية مار منصور التي تنفق في سبيل الخير الملايين من الدراهم فتنشر اعمالها ولم نسمع احدًا ينسب اعضاءها الى الكبرياء والافتخار الباطل

وكنَّا سألنا في بعض السنين الماضية عن لسان البشير رؤساء المحافل الماسونية ان يذكروا لنا شيئًا من الاعمال الخيريَّة التي يدَّعونها فما كان منهم الَّا انهم تنمَّروا غيظًا وصاحوا بالويلات ونعتوا كتبة البشير بقبح الالقاب وافظع الشتائم كأَنَّهم بذلك ينفرون شكوى الذين يشكرون لهم عملًا خيريًا . ثم قامت في اثرهم جريدة اللطائف وبعد التفتيش والتنقيب ذكرت مأوى في انكلترة ودارًا للمستومين في فرنسة لكنَّها خافت ان تصرّح بمكانها خوفًا من الخذلان . ولنحسب ان اللطائف صادقة في قولها فما هذا بالنسبة الى جمعيَّة تدَّعي انَّها اغنى الجمعيَّات وانَّ اعضاءها يبلغون خمسة عشر مليونًا؟ (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقيَّة جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL, IX: Textes Persans relatifs à la secte des Houroufis publiés, traduits et annotés par M. Clément Huart suivis d'une étude sur la religion des Houroufis par le Dr Riza Tevfiq, *London*, *Luzac*. 1909. pp. 313+١٢٥

الشيعة الحروفية

الشيعة الحروفيَّة من الشيَع التي ظهرت في العجم في اواخر القرن الثامن

للهجرة والرابع عشر للمسيح. انشأها احد المتصوّفين في تلك البلاد اسمهُ فضل الله الاستراباذي. فهذا بنى دينهُ على حروف الابجديّة وتركيبها فقيل لهُ ولاشياعهِ بالحروفيين. ومن مزاعمهِ مذهب الحلول ويدّعي انّ اللاهوت ظهر في شخصهِ وكان اخذ اشياء من تعاليم الباطنيَّة والاسماعيليَّة ثم مات قتلًا بامر ميرانشاه احد ابناء تيمورلنك سنة ٧٩٦ (١٣٩٣ م). ولاحد زعماء هذه الشيعة عدَّة تآليف ومقالات في الفارسيَّة لم تُطبَع حتى الآنِ وقد حصل على نُسخٍ منها المستشرق هوارت (Huart) فنشرها في مجموعة جيب (Gibb) ونقلها الى الفرنسويَّة وعلّق عليها التعليقات اللغويَّة وغيرها. وقد ألحق العلّامة رضا بك توفيق بالكتاب درسًا في دين الحروفيَّة ومزاعمهم التي هي من الغرابة في مكان ولعلَّ قارئ هذه التآليف لا يرى في تعريفها غير تكرار المثل القائل بانَّ الجنون فنون

ل. ش

I Cornelis Cornelisz ROOBACKER's SCHEEPSJOURNAL Gamron-Basra (1645); de eerste Reis der Nederlanders door de Perzische Golf. Uitgegeven met Inleiding en Noten door **A. P. H. Hotz**, *Leyden, E. J. Brill*, 1907, pp. 117.

II Journal der Reis van den gezant der O. I. Compagnie JOAN CUNAEUS naar Perzië in 1651-1652 gehouden door **Cornelis Speelman**. Uitgegeven door **A. P. H. Hotz** met Route-Kaart. *Amsterdam, J. Müller*. 1908, pp. CXV-466.

رحلتان الى العجم

كانت هولندة في القرنين السابع عشر والثامن عشر تجاري اكبر الدول في مستعمراتها وتجارتها البحريَّة. وقد خلَّف لنا كثيرون من علمائها اوصاف رحلاتهم الى اقاصي البلاد حتى الصين واليابان والهند وجزائر اوقيانية وقد نشر الاثريُّون بعضها ولم يزل بعضها الآخر مخطوطًا متزويًا في دفائن الخزانات الكتبيَّة. وممَّا استُخرج من تلك المطامير آخرًا رحلتان الى بحر العجم وبلاد فارس باشرهما سنة ١٦٤٥ ثم سنة ١٦٥١ الهولنديَّان رُوباكر وجان كوناوس وفي رواية رحلتهما من الاخبار والاوصاف ما يلذُّ كل القرَّاء ويزيدنا علمًا في احوال فارس في ذلك العصر من تجارة وعلوم وصنائع. وهاتان الرحلتان قد تولَّى نشرهما احد علماء هولندة العلّامة ا. هوتس الذي حلَّ ثغرنا منذ شهرين بصفة قنصل دولة هولندة الفخيمة وجنابهُ من اعرف الناس بامور العجم وتاريخ بلادهم ولديهِ مكتبة واسعة تتضمَّن التآليف الفريدة العزيزة الوجود التي جمعها في

أيام مأموريّتهِ في فارس ومنها استخرج هذين الاثرين فنشرهما باللغة المولديّة وصدَّرهما بالمقدِمات المفيدة وذيَّلهما بالملحوظات الثمينة واضاف اليهما الخوارط لتعريف الثغور التي اجتاز بها صاحبا الرحلتين فجاء الكتابان شاملين لضروب المحاسن التي يستحبُّها القرَّاء لمثل هذه الآثار. فنشكر جناب القنصل على هذه الهبة النفيسة ونحضّ محبي الاسفار على مطالعة الكتابين ل. ش

I. Kratchkovski: Mutanabbi i Abu-l-'Ala. *St-Pétersbourg*, 1909. pp. 52.

المتنبي وابو العلاء المعرّي

انَّ بين هذين الشاعرين وجوهًا من التشابه تقرّب بينهما فضلًا عن تقارب عهدهما فانَّ كليهما نبغ في بلاد الشام وكلاهما برز في الشعر ونحا فيهِ منحى الفلاسفة وكلاهما أصبح اماماً في مذهبهِ الشعري فتناقل قصائدهُ قوم من المغرمين باقوالهِ. ولمَّا المتنبي كان متصلًا بخدمة الملوك والامراء فيتفنن بشعرهِ ليحصل بهِ رضاهم وامَّا المعرّي فازهدهُ بالدنيا كفوفُ بصرهِ فوجّه بنظر قلبهِ الى المعقلات واعتبر الموجودات اعتبار الزدري بها النافر عنها وشعرهُ يتدفّق تدفّق الماء من ينبوعهِ يقولهُ عفوًا دون تصنُّع ولا تعسُّف. وقد كثرت الابحاث في هذين الشاعرين ووصف خواصهما والثناء على منظوماتهما. وممّا نُشر حديثًا فيهما مقالة لنزيل بيروت حالًا حضرة المستشرق الروسي أ. كراتشقوفسكي فانهُ وضع في المتنبي والمعرّي كرّاسًا ضمَّنهُ خلاصة ما كُتب في هذين الشاعرين وقد افتتح تصنيفهُ بمقدّمة في الشعر العربي وما نُشر منهُ حديثًا واردف ذلك بذكر ابي الطيب وابي العلاء ولخّص مضامين دواوينهما وروى نبذًا من شعرهما مع شرحهِ. وممّا استفاد منهُ لمقالتهِ من المخطوطات كتاب تنبيه الاديب لأبي كثير وكتاب معجز احمد وهو تفسير ابي العلاء لديوان المتنبي. وياليت جنابهُ أطلع على ترجمة المعرّي المطوّلة التي وردت في كتاب معجم الشعراء لياقوت فانَّهُ كان بلا شك اخذ عنها بعض الفوائد المهمة. فنهدي لصديقنا الشكر على ما صنَّف ونؤمّل ان يتحفنا قريبًا بآثار جديدة من قلمهِ ل. ش

EBERHARD SCHRADER. Eine Lebensskizze nebst einem Verzeichnis seiner meisten Schriften von **Carl Bezold**, *Strassburg. K. J. Trübner*, 1909. pp. 31.

ترجمة المستشرق ابرهرد شرادر

ابرهرد شرادر (١٨٣٦–١٩٠٨) احد كبار علماء المانية خدم الآداب الشرقيَّة

زمناً طويلاً حتى بلغ فيها مبلغاً عظيماً وكان المذكور ضليعاً باللغات الشرقيــة ولاسيما العبرانية لكنَّهُ اصاب شهرة مستفيضة بتآليفهِ الاشوريَّة التي يُشار اليها بالبنــان. فلمَّا فقدتهُ الآداب لم يشأ وطنيُّهُ الهمام كرل بتسُلد ان يبيد ذكرهُ فجمع في كتابٍ ترجمة حياتهِ ألحقها بمصنَّفاتهِ التي يبلغ عددها بين صغيرة وكبيرة مئتي تاليف. فنثني على همة الكاتب ونهنّي الديار الالمانية بما تُنشئ من رجال الفضل ل. ش

Actes du QUINZIÈME CONGRÈS international des Orientalistes. Session de Copenhague, 1909 *Copenhague*, 1909, pp. 87.

اعمال مؤتمر المستشرقين الخامس عشر في كوپنهاغ

سبق لنا في المشرق (٨ : ٧٤٦) وصف هذا المؤتمر الذي حضرناهُ باسم مكتبنا الشرقي. وقد جُمعت مؤخَّراً تفاصيل جلساتهِ وما دار فيها من الابحاث اجمالاً. على انا ننتظر من همة عمدة ذلك المؤتمر ان يتحفونا بما هو اعظم من هــذه الفذلكة فائدةً فيقتدوا بالمؤتمرات السابقة وينشروا المقالات العلمية التي تُليت في ذلك النادي العلميّ فتبقى آثارهُ في ايدي المستشرقين ل. ش

رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

جامعها ومصحّحها ومعلق حواشيها الاب انطون صالحاني اليسوعي

الجزء الاول في الروايات الادبيَّة طبعة ثانية بيروت ١٩٠٩ (ص ٤٠١)

ابو الفرج الاصبهاني من اعيان الادباء وافراد المتقنين اجمع العــارفون على انهُ لم يُرَ اديب مثلهُ حفظ ما حفظهُ من الشعر والاغاني والاحاديث المسندة فترك لنا في كتابهِ الموسوم بكتاب الاغاني في ٢١ جزءًا معدناً لا ينفد ونبعاً لا ينضب اليهِ يلجأُ كل كاتب اذا ما اراد الوقوف على كثير من الآثار والاخبار في الجاهليَّة والاسلام. وهو من ابرع الكتبة وادقّهم معرفة بمواقع اللفظ يُخرج المعاني في قالب لطيف بغير حشو ولا تعقيد جامعاً بين الذوق السليم وحسن البيان لا تشوبهُ ركاكة ولا يشوّهه تكلّف. وعندنا انهُ اجلّ ما يختارهُ الكتبة والدارسون اذا مــا ارادوا مثالاً يقتدون بهِ فيكون انشاؤُهم ‹ عصريًّا › سهل المأخذ صحيح العبارة والتركيب. وقد انتخب حضرة الاب انطون صالحاني غرر الكتاب ودررهُ في مجلَّدين سمّاها رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني رقماً موقعاً حسناً في اعين الادباء واصحاب المعاهد العلميَّــة وجعلها الكثيرون كتباً

مدرسية اقبل التلامذة على مطالعتها لما فيها من الروايات المنتقة فنالوا حظًا ونجاحًا في الانشاء. ولما كان ما نُشر بالطبع من الجزء الاوَّل قد نفد مؤخرًا اعاد في هذه الايام حضرة الاب طبعهُ بعد المراجعة وضبط ما يصعب على القارئ ضبطهُ وتفسير ما فيه من الغريب مع تراجم لكثير من الاعلام فجاء الكتاب بهذه الطبعة اقرب منالًا من الطبعة الاولى واكثر فائدة فنشكر لحضرة الاب همتهُ ونحرض الاساتذة على شرح معانيه والتلامذة على تداولهِ ا. ر

منائر الطقسيات

وضعهُ وعلّق حواشيَهُ بعض آباء الرسالة اللبنانيَّة المارونيَّة

طبع بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٧٣)

قد احبَّ حضرة الخوري الفاضل الاب نعمة الله مبارك ان يفيد قرَّاء المشرق (ص ٤٢٠) عن فحوى هذا الكتاب ومحتوياتهِ في مقالةٍ نفيسة وضعها عن الطقوس البيعيَّة قبل ظهورهِ. ومن ثم قد اضحى وصفهُ نافلًا. وغاية ما نتمنَّى ان يُقبل الاكليريكيون على درسهِ والاقتباس من فوائدهِ فانَّهُ يتضمَّن في عشرة اقسام وفي ابواب وفصول متعددة جلَّ ما يتوقون الى معرفتهِ من واجبات الاكليريكيين ووصف الرتب الدينيَّة في الاعياد وغيرها. فنشكر سيادة الحبر المفضال المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت على ارتضائهِ بطبع الكتاب على نفقتهِ كما انَّنا نهنئ آباء الرسالة اللبنانيَّة الكُرَيميَّة على ما اظهروهُ من الاريحيَّة في معاناة جمعهِ وطبعهِ على احسن صورة ل. ش

كفاية الطالب وبغية الراغب (في علم النحو)

تاليف القس يوسف الجيتاوي الراهب الانطوني

الجزء الاوَّل كتاب التلميذ. طُبع بمطبعة التوفيق في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٥٠)

وُضع هذا الكتاب على الطريقة التعليميَّة المستحدثة التي تجمع بين النظر والعمل فان مؤلفهُ الفاضل قسمَ علم النحو الى فصول وكل فصل الى اسئلة واجوبة يسهل حفظها على الطلبة الاحداث ثم يُتبع ذلك بايضاحات تزيل ما في الاجوبة من المشاكل وفي اثرها تمارين يُصلح المتعلم اغلاطها ويقوّم معوجَّاتها وفقًا لما تعلَّمهُ في الاجوبة والايضاحات. فهذه الطريقة كما ترى غاية في الموافقة لتعلُّم القواعد. فنثني على حضرة المؤلف حسن

تنسيق كتابهِ وتمنَّى لهُ رواجاً. ونشير الى حضرتهِ في طبعة ثانية ان يضيف الى الكتاب فهرساً واسعاً ويزيد طبعهُ اتقاناً فيكون انتشارهُ اوسع ل·ش

النجوى الى نساء سوريا

بقلم فليكس فارس صاحب جريدة لسان الاتحاد

طبع في المطبعة الحميديَّة في بيروت ١٩٠٩ (ص ١١٢)

من ينظر الى غلاف هذا الكتاب وعليه صورة المؤلف يجد في ملامحهِ صورة رجل رقيق الطباع لين الشواعر ذا بصر نقَّاد يتروَّى في خفايا الامور دون ظواهرها · وكتابهُ النجوى شاهد على صدق ملامحهِ فانَّهُ رأى كثيرًا من الفتيات يتهافتن الى الزواج ولم يتبصرن قبل التقيُّد بأغلالهِ ما ينتظرهنَّ من الأعباء ليُمددن النفس لواجباتهنَّ المقدَّسة فكتب هذا الكتاب وضمَّنهُ خلاصة الفضائل التي تُطاب ممارستها من المرأة المسيحيَّة بازاء زوجها وقياماً بواجباتها البيتيَّة وبتربية اولادها الصالحة لتتمم في الهيئة الاجتماعيَّة ما خصَّها الله بهِ من الفرائض. وقد ألبس الكاتب افكارهُ ثوبًا قشيبًا من المعاني المبتكرة والالفاظ اللينة والتعابير اللطيفة. ولعلَّ فئة من القرَّاء يأخذون عليهِ بعض الغلوّ في احكامهِ او بعض النقص في آرائهِ الفلسفيَّة الَّا انَّ الكتاب بوجه الاجمال صادق اللهجة صائب الآراء. وكنا نودُّ لو اتَّسع في بيان ضرورة روح الدين في الزواج فانَّهُ الركن المتين لتوثيق عرى الحب بين الزوجين والحبل غير المنفصم الذي يعتصمان بهِ في صروف الدهر فيقويان على كل حدثانهِ ل·ش

الدليل الهادي لزيارة قبر الفادي

عرَّبهُ عن الايطالية الفونس انطون الونصو

طبع في المطبعة الوطنيَّة بالقدس (سنة ١٩٠٩ ص ٥٥)

هذا الكُتيّب دليل صغير لزوَّار القدس الشريف وُضع بالايطاليَّة لمنفعة العامَّة والبسطاء. ولمَّا كان عدد هؤلاء من الناطقين بالضاد كثيرًا فاحسن جناب الاديب الفونس افندي انطون الونصو بتعريبهِ وطبعهِ في مطبعتهِ ليستفيد منهُ ابناء الوطن. فانَّ الكتاب مع كونهِ مجرَّدًا عن كل مسحة علمية يحتوي ما يحتاج الى معرفتهِ عموم الزوَّار الشرقيين ل·ش

الارض في السماء . قصائد ادبية أخلاقية تاريخيَّة

الجزء الاوَّل نظم الاديب امين افندي ظاهر خير الله

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ١٤٣)

ظهر ممَّا وصفنا بهِ سابقًا تآليف جناب الشاعر المبتكر امين افندي ظاهر خير الله انَّ غاية ما يطلبهُ من شعرهِ بنيان الروح ونشر الآداب وهذا الكتاب من ذاك القبيل دعاهُ الارض في السماء فنظم فيهِ القصائد على طريقة مستحدثة ليرشد الانسان الى ما ينال بهِ في ارضهِ من رغد العيش وطأنينة الروح . وقد قدَّم على كتابهِ فصلاً مطوَّلًا في الشعر واغراضهِ جعلهُ كتوطئة لمنظوماتهِ التي جعلها ادوارًا متعددة الاشطر ملتزمًا فيها الرويَّ على شكل يقارب الموشَّحات وقد جارى في ذلك بعض الانواع التي ابتكرها من قبلهِ معرّب الالياذة جناب سليمان افندي البستاني . وانَّما آثر هذه الطريقة لما وجد فيها من حسن الوقع في الاذن والانسجام في الكلام والاختصاص ببلاغة المعاني . والارض في السماء عبارة عن ست عشرة قصيدة او موشَّح في نحو مائة وجه تتلاحم وتتوالى وترشد المرء الى اغراض ادبيَّة اخرجها على صورة رمزيَّة وروايات مختلقة عن لسان آلهة اليونان . وعلى رأينا انَّهُ كان بلغ غايتهُ بنوع اقرب لو تحاشى هذه التخيُّلات الميثولوجيَّة التي قلَّما يدرك معانيها الخفيَّة اهل بلادنا فانَّ « زفس وهرمس وباخوس وفنيس وسيريس » بعيدة عن تصوُّر الشرقيين فلا يفقهون معانيها ولو قصد المؤلف لمَا صعب عليهِ ان يجد في التاريخ الشرقي ما ينوب عنها . وقد اردف جنابهُ هذه المنظومة الاولى بمنظومة اخرى دعاها نطاق الزهرة جعلها ايضًا موشَّحات ذات ادوار على شكل رواية ادبيَّة قام بتمثيلها آلهة الاقدمين . والغاية منها بيان مضار المشدّ الذي تنطنق بهِ الاوانس

العقد الفريد

من نظم القوَّال الشهير شديد بن فارس بن غصن من مزرعة النهر

سبق لنا الاقرار بأنَّنا من انصار اللهجة العاميَّة والمنظومات الدارجة الوطنية فاننا نرى فيها من الخواصّ اللسانية والصفات الكتابيَّة ما تروق مطالعتهُ ويمثل للعيان اخلاق اللبنانيين ويلمع بما شاع بينهم سابقًا من الألسنة الآراميَّة ولاسيما السريانيَّة . وعليهِ نرحب بهذا الكتاب الجديد الذي طابق اسمهُ مسمَّاهُ فنُظم نظم العقد الفريد وهو

عبارة عن ديوان يتضمّن كل فنون النظم من الشعر العامّي كالمديح والغزل والحماسة اجاد فيها الكاتب كما شاء ولولا ضيق المكان وكثرة المواد لانتقينا منهُ اقوالاً تشهد على حكمنا . وغاية ما نطلب من شعراء لبنان عموماً ان يلزموا حدود الادب ويتحاشوا ما امكنهم كل كلام بذي وينبذوا نبذ النواة ما يمسّ شرف الدين وعرض القريب ل.ش

شذرات

كتب الشيخ يوسف النبهاني ~ نبّهنا في شذرة سبقت الى ما جاء في كتب الشيخ النبهاني من الطعن القادح في الدين النصرانيّ والتشنيع فيهِ وهو لا يعرف من ديننا ومن تعاليمهِ المقدسة شيئًا فجاءت تآليفهُ كشاهد جليل على ما قال الله عزّ وجلّ في الاسفار الالهيَّة عن بعض الذين «يجدّفون على ما لا يعلمون» (اطلب الآية في رسالة يهوذا ١ : ١٠) وقد جاءتنا مجلة المنار الاسلاميَّة فألفيناها تقدّر معنا هذه الكتب حقّ قدرها . قال صاحبها السيد محمَّد رشيد رضا (عدد شعبان ص ٦١٥) :

« ان الكُتُب الحديثة وكذا القديمة المحشوَّة بالاباطيل والقول في دين الله بغير علم ككتب النبهاني وامثالهِ اكثر من ان تحصى . فهل يُكلَّف مثلي ان يقرأها ويبيّن ما فيها من الخطاءِ والباطل بها كثر ذلك وتكرّر ؟ ان هذا التكليف ما لا يطاق . . » فتامل

فوز المراكشيين على الاسبان ~ هـذا عنوان مقالة لصاحب جريدة الوطن وكلٌّ يعرف انَّ المراكشيين لم ينالوا حتى اليوم فوزًا يُذكر اللهمَّ الَّا بعض المناوشات التي فقد فيها الاسبان رجالًا من ضباطهم كما ان الاسبان اوقعوا ايضًا باهل مراكش غير مرَّة ومن ثمَّ لم تتغيَّر كثيرًا احوال الفريقين وغاية ما نتمنَّى ان تنتهي هذه الحرب على سلام لكنَّنا تعجَّبنا انَّ منشيء الوطن اتَّخذ وقيعة جسَّمتها لهُ مخيلتهُ كوسيلة لتقريع الاسبان بما فعلوهُ سنة ١٦٠٩ بالمراكشيين لمَّا اخرجوهم من جزيرتهم فكتب في ذلك كلامًا مطوَّلًا وندَّد بالاسبان واستفظع اعمالهم بعبارات جارحة وزعم انَّ دولة اسبانية تتقهقر مذ ذاك الوقت الى غير ذلك من المبالغات التي تدلّ على انَّ الكاتب نقل ما نقل دون تروٍّ عن جريدة معادية للاسبان . ولو راجع تاريخًا يوثق بهِ لعلم خطأهُ وأبى ان يروي ما يثير النفور ويهيّج الاحقاد سامحهُ الله . امَّا تقهقر اسبانية الذي نسبهُ لخروج المراكشيين من الاندلس فانَّ العلماء ينسبونهُ الى اسباب اخرى سبقت ذلك العهد

الماء المقدس والمقتبس ذكرت مجلة المقتبس في بعض اعدادها (٤: ٥٤) الماء المقدَّس في كنائس الكاثوليك فزعمت انَّ العلماء فحصوهُ في بعض اجوانهِ فوجدوا انهُ يحتوي الوف الوفِ من الجراثيم المُعدية وكأن المجلة خافت على ارواح العباد ورأت في عبادة الكاثوليك خطرًا على المجتمع الانساني. ومن المعلوم انَّ الماء المقدَّس لا يضرُّ احدًا فانَّ الداخل الى الكنيسة اذا غمس فيهِ طرف اصبعهِ لا ينالهُ بذلك سوء اذ لا يجرع تلك النقطة من الماء وانَّما يرسم على نفسهِ فقط اشارة الصليب المقدَّس فتيبس اصبعهُ بملامسة جبهتهِ وثوبهِ. ثم ان الماء المقدَّس يُمزج بالملح المطهِّر وكذلك يُفرض على وانه الكنيسة ان يُفرغ الماء في اوقات معلومة ويدضح الاجران. وعلى كل حال نشكر مجلَّة المقتبس على اهتمامها بصحَّة الكاثوليك ورُتَب معابدهم ولو قصرت نظرها الى امور قومها لرأت شواغل أُخرى تشغلها عن الماء المقدَّس وخطرهِ الموهوم فلا تبصر القذاة وتنسى الجذع

مذنَّبة هلّاي أخذت المذنبة هلّاي (Halley) تُشعر بقربها من فلكنا وقد رصدها مرصد كمبردج واخذ صورتها. وعمَّا قليل ستزيد من ارضنا قربًا وتظهر للعيان في الشهور الاولى من السنة القادمة فنفرد لوصفها مقالةً ان شاء الله

اسئلة واجوبة

س: ١٠ راي المشرق في المدارس اللادينية التي كثر عليها الكلام في ايامنا وفي بلادنا ? المدارس اللادينيَّة اي الخالية من الدين

ج نرتأي ما يرتئيه اساقفة فرنسة باجمعهم في رسالتهم التي نشرها البشير في عددَيهِ ١٢ و١٦ات ١ وما ترتئيهِ الكنيسة المقدَّسة في كثير من الاحكام التي اترلتها على هذهِ المدارس وما يرتئيه كل عاقل يعرف ان ليس ادبٌ بلا دين (اطلب مقالات البشير في اعدادهِ الاخيرة). وذلك لان الغاية من هذه المدارس هي ثلّ عرش الاديان وبث روح الكفر رغمًا عمَّا يتظاهر بهِ اصحابها مواربةً ونفاقًا في انهم يُجلّون الدين ويكرمونهُ. ولنا شاهد عارف لا تنكر شهادته ولا تُردّ وهو المسيو

اولار (Aulard) موسس المدارس اللادينيّة في القاهرة وسالونيك وحديثًا في بيروت. قال في احدى مقالاته الاخيرة ما تعريبهُ بالحرف الواحد: «انهُ لمساواة في الازمنة الحاضرة ان لا نُعارض بتعليمنا تعليمهم (اي اصحاب الدين) حفظًا لشروط الحايدة عن الاديان في المدارس فلندع التكلم عن الحايدة المدرسية ولا نقل منذ الان اننا لا نريد ان نخرب الدين لكن فلنقل صريحًا: نريد ان نخرب الدين»

Ne parlons plus de neutralité scolaire. Ne disons plus : nous ne voulons pas détruire la religion ; disons au contraire: nous voulons détruire la religion. (*Discours de Mr Aulard*)

س: سأل الاديب ي. ي. ض. ما هي المناولة الروحية وما هي شروطها وفوائدها

المناولة الروحية

الجواب: هي الشوق والرغبة في قبول جسد الرب ودمه الاقدسين عند تعذُّر قبولهما سريًا. ولما كانت الاعمال بالنيات كان هذا الشوق كغيره من الاشواق والرغائب التقويّة امرٌ تظهر لكل متأمل فائدتهُ الروحية العظمى كما لو اشتاق الانسان الى رؤية الله عزَّ وجلّ او قال مع صاحب المزامير: من يعطيني جناحين كالحمام فاطير واستريح. ولما كان سرّ القربان محور حياتنا الفائقة الطبيعة وينبوعها كان الشوق لهذا السر من اسمى الاشواق واغزرها فائدة. ولذا نرى المجمع التريدنتيني يحث المسيحيين على حضور الذبيحة الالهية كل يوم والاتحاد السري مع المخلص بالمناولة فعلًا او شوقًا على الاقل. وقد حذا الكتبة والقديسون حذو المجمع المقدس في حمل طالبي الكمال خصوصًا والمؤمنين عمومًا على الاكثار من هذه العواطف الشوقية التي من شأنها ان ترفع بالنفس عن الدنيويات وتزيدها اتحادًا قلبيًا مع الهها. فهم يعتبرون ان هذه المناولة الروحيَّة اذا ما سبقتها ولحقتها الافعال التي اعتاد المؤمنون ابرازها — لفظًا او معنى — قبل المناولة السريَّة وبعدها من تجديد فعل الايمان والشوق والتواضع والمحبة والشكران وغيرها كانت الثمرة اكمل والتاثير اعظم. وكما ان الانسان الساقط في الخطاء المميت لا يجوز لهُ قبول جسد الرب فعلًا كذلك لا يجوز لهُ ان يشتهيهُ وهو عارف بحالة خطيته ان لم يندم عليها اللهم ان لم يكن هذا الشوق يحتوي ضمنًا الندامة المطلوبة. ولا شك ان هذه المناولة تجوز في المعابد وخارجًا عنها وان كانت اكثر فائدة في زمن حضور الذبيحة الخلاصيَّة او امام القربان ا. ر